مجلة اللغة العربية والعلوم الإسلامية المجلد (3) العدد(12)- ديسمبر 2024م
الترقيم الدولي للنسخة المطبوعة: 2812-145 x الترقيم الدولي للنسخة الإلكترونية: 2812- 5428
الموقع الإلكتروني: https://jlais.journals.ekb.eng

تأملات قرآنية في آثار الحضارات القديمة
"دراسة استقرائية"

الدكتور/ محمود حسني عبد الوهاب إبراهيم
الأستاذ المساعد بقسم التفسير وعلوم القرآن
كلية البنات الأزهرية ـــــ المنيا الجديدة
mahmoudhosny953@gmail.com

Journal of Arabic Language and Islamic Science Vol (3) Issue (12)- Des2024
Printed ISSN:2812-541x On Line ISSN:2812-5428
Website: https://jlais.journals.ekb.eg/

تأملات قرآنية في آثار الحضارات القديمة

"دراسة استقرائية"

الدكتور/ محمود حسني عبد الوهاب إبراهيم

الأستاذ المساعد بقسم التفسير وعلوم القرآن

كلية البنات الأزهرية ـــــ المنيا الجديدة

mahmoudhosny953@gmail.com

المقدمة

لا يفتأ القرآن الكريم يحض المسلم على النظر والاعتبار والتدبر والتأمل، ويدفعه إلى إعمال عقله وإحالة فكره،ويدله على الوسائل التي تعينه على ذلك، والتي من أهمها السير في الأرض، فيزداد الإنسان إيماناً مع إيمانه، ويقينا مع يقينه، فالقرآن الكريم، يقدم لنا عن طريق القصص القرآني معلومات مهمة وصحيحة تمامًا عن عصور ما قبل الإسلام، وأخبار دولها،والحق سبحانه وتعالى قد تعهد بحفظه دون تحريف أو تبديل، قال تعالى"إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحافِظُونَ"الحجر: آية 9، ومن ثم فلم يصبه ما أصاب الكتب الماضية من التحريف والتبديل وانقطاع السند،حيث لم يتكفل الله بحفظها،بل وكلها إلى حفظ الناس، فقال تعالى"وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتابِ اللهِ"المائدة 44، أي بما طلب إليهم حفظه،والسر في هذه التفرقة أن سائر الكتب السماوية جيء بها على التوقيت لا التأييد،وأن هذا القرآن جيء به مصدقا لما بين يديه من الكتب ومهيمنا عليها، ومن هنا كان القرآن الكريم جامعا لما في هذه الكتب من الحقائق الثابتة،زائدا عليها بما شاء الله زيادته، فقضى الله أن يبقى حجة إلى قيام الساعة[1]، وكما أن الاهتمام الكبير الذي توليه الأمم والشعوب بآثار الحضارات القديمة في يومنا هذا المعاصر، وحرصها الشديد على مآثر الأمم

(1) دراسات تاريخية من القرآن الكريم محمد بيومى مهران(ت/1429هـ)،(5/1)، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، ط2، تاريخ النشر،1408هـ.

والأجيال السابقة وحمايتها من كل اعتداء وتلف يقتضي منا الوقوف على موقف الشريعة الإسلامية منها وبيان حقيقتها وأهميتها،فتعظيم الآثار ظاهرة قديمة، تأخذ صور وأشكال متعددة عند كثير من الأمم والشعوب، والخوض في هذا الحديث شائكاً وصعب المنال لما فيه من مخاطر تتعلق بالعقيدة، ولأن فيه الحفاظ على الدين من الوثنيات الهدامة، وذلك بسبب الافتتان بالآثار الوثنية والجاهلية دون الوقوف عند الضوابط والأحكام الشرعية في التعامل معها،"ولعل الدليل على ذلك أن أول شرك وقع على وجه الأرض كان في زمن نبي الله نوح عليه السلام،إذ عبد قومه الأصنام من دون الله تعالى بعد أن أغواهم الشيطان لذلك،فلبث نبي الله نوح يدعو قومه ليلاً ونهاراً من دون أن يكل أو يمل"[1].

وهناك من يدعو إلى هدم الآثار أو طمسها؛ بدعوى أنها أصنام يجب أن تزال، ومنهم من ينظر إليها نظرة تعظيم مطلق، وإعجاب مفرط دون الوقوف عند الضوابط والأحكام الشرعية في التعامل معها،ومن هنا يصبح المسلم في حيرة من أمره ؛إلى أيِ الفريقين يتجه ويرنو؟ إلى شطب آثار هذة الحضارات وعدم التعامل معها، وإلغاء كل ما يمتُ إلى الماضي بصلة؛بحجة التمسك بالدين وإظهار التوحيد الخالص؟، أم إلى إظهار مظاهر الإعجاب المفرط؛ دون استحضار الغرض الأساسي من بقائها، وزيارتها، ومشاهدتها، كما حددته الشريعة الغرَاء؟، ومن هنا كانت البداية للحديث عن آثار هذة الحضارات دون إفراط ولا تفريط،ووضع الحلول الشافية لما يعنُ للمرء من تساؤلات حول هذا الموضوع، وبيان مدى اتفاق الاتجاهات الفكرية المتعلقة بالآثار أو اختلافها مع الحقيقة الشرعية، ولذلك نرى القاعدة الإيمانية في الحديث النبوي"إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل أمريء ما نوى"[2]، وهكذا نعرف أن

---

(1) نشأة الدين وعلم الأديان من المنظورالإسلامي(ص9)،علي خالد ياسين المشهداني، الشاملة الذهبية

(2) الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه، صحيح البخاري محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي،(6/1)،ت/محمد زهير بن ناصر الناصر،دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)،ط1، 1422هـ

نية القلوب خاصة بالله مباشرة ولا تدخل في اختصاص رقيب وعتيد وهما الملكان المختصان برقابة وكتابة سلوك وعمل الإنسان، ولذلك الحق يصف ذاته في مواقع كثيرة من القرآن بأنه لطيف خبير، لطيف بعلم ما يدخل ويتغلغل في الأشياء، وخبير بكل شيء وقدير على كل شيء[1].

منهج البحث: اعتمدت في البحث علي المنهج الاستقرائي ويتمثل ذلك بتتبع واستقراء مفردات موضوع البحث وأقوال العلماء فيه، وتناول الآيات القرآنية، والأحاديث النبوية ذات الصلة بموضوع البحث،ومحاولة فهمها والوقوف عندها، وذلك لتحديد العبر والدروس والأحكام المستنبطة من هذه الأدلة، ثم المنهج الوصفي[2]، ويتمثل ذلك بالوقوف على حقيقة الآثار وأهميتها،ووصف بعض آثار الحضارات القديمة.

أسباب اختيار الموضوع:

1ـــ الحاجة الماسة لمثل هذه الموضوعات؛لأنها تمسُ الواقع فهي ليست حبيسة الأدراج بل تتعداها إلى واقع الناس وحياتهم؛ ولإظهار سماحة الإسلام وبيان أنه لا يتصادم مع المخالفين،بل يتكامل معهم فيما يصلح التكامل فيه،وخدمة كتاب الله تعالى في هذا المجال ولو بالشيء اليسير، من خلال الكتابة عن قضية آثار الحضارات القديمة بما تحمله من قيم إيجابية وسلبية، وكما أن الآثار في العصر الحاضر تعدُّ من أكبر الموارد المالية للدول ومصدراً من مصادر حضارات الأمم.

2ـــ الوقوف على آراء العلماء وجهودهم العلمية في هذا المجال للوصول إلى المنهج الحق حتى يتميز عن مناهج أهل البدع والضلال،وذلك بإظهار الرؤية الإسلامية المعاصرة في ضوء الانفتاح على ثقافات الأمم والشعوب،لا سيما أن الاهتمام بالآثار يعدُّ هاجساً وقاسماً مشتركاً في كل الدول وخاصة الدول العربية

---

(1) تفسيرالشعراوي (2706/5)،(2706/5)، التفسير القرآني للقرآن(686/11)عبد الكريم يونس الخطيب (ت/ بعد1390هـ)،دار الفكر العربي،القاهرة،[ترقيم الكتاب موافق للمطبوع،وهو ضمن خدمة مقارنة التفاسير]

(2)وهو الذي يعتمد عليه في دراسة الواقعة أو الظاهرة كما توجد في الواقع والاهتمام بوصفها وصفا دقيقا والتعبير عنها تعبيرًا كميًا أو كيفيًا ينظر:المرشد في كتابة الأبحاث، حلمي محمد فوده وعبد الرحمن صالح عبد الله، (ص26) دار الشروق ـــ جدة ـــ ط6،1410 ،1411ه1991 م.

والإسلامية التي تعدُّ مورداً ثرياً للآثار بما تملكه من متاحف،الأمر الذي يعزز ضرورة بيان حكمها وحكم التعامل معها،فقد انجذب كثير من الناس بمختلف طبقاتهم واهتماماتهم ومستوياتهم العلمية إلى الآثار باعتبارها مصدراً للمعرفة والسياحة،وقد حرص الكثير على اختلاف ثقافاتهم لزيارتها وما يتبع ذلك من ممارسات لها أحكاما ينبغي أن توضحّ حتى يكون هذا التعامل وفق الشريعة الإسلامية .

3ـــ الدفاع عن جناب التوحيد والتمسك بثوابت القرآن الكريم والسنة النبوية في التعامل مع آثار الحضارات القديمة وتجنب تعظيمها والتبرك بها وتقديسها، وذلك بفهم الأحكام الشرعية المتعلقة بها،لتتحقق الأهداف الدينية والاقتصادية والعلمية والحضارية من التعامل مع هذه الآثار،وفي هذا إظهار لسمو الشريعة الإسلامية ومعالجتها لكافة أوضاع الناس وصلاحيتها لكل زمان ومكان.

4ـــ كثرة المؤلفات التي أفرطت في تعظيم هذه الآثار، وامتلائها بالشبهات والانحرافات العقدية،وغض النظر عن النتائج الوخيمة المترتبة علي تعظيمها والافتتان بها.

5ـــــ مدى أهمية الآثار الدينية من مساجد،كنائس، ومعابد وكتاباتٍ،وما لها من دورٌ كبيرٌ في التعرف على الأديان القديمة ومعتقداتهم والمقارنة بينها، وكما ساهمت الاكتشافات الأثرية التي تحتوي على نقوشات وكتابات في التعرف على اللغات القديمة، واكتشاف العديد من أسرارها،مما ساهم بدوره في التعرف علي الحضارات القديمة وتاريخها.

مشكلة موضوع البحث: إن الحديث في موضوع هذا البحث شائك ولم يحسم بعد،وينظر إليه من عدة زوايا، واختلفت فيه وجهات النظر، وذلك لتعلقه بالجانب العقدي،وقد التبس ذلك علي كثير من الناس وخفي عليهم الحكم الشرعي، وحاولت على قدر جهدي الوقوف على بعض الأحكام الشرعية المتعلقة بالآثار مستمسكاً في ذلك بالمنهج العلمي من خلال الآيات القرآنية والأحاديث الشريفة، فهل أمر الإسلام بتدمير هذه الآثار بالفعل؟، أم أمر بالمحافظة عليها؟.

الدراسات السابقة: هناك العديد من الدراسات السابقة تناولت الحديث عن الآثار بصفة عامة،وآثار الحضارات والأمم السابقة، وجاءت هذه الدراسات من ناحية تاريخية بحتة،وقد أفدت من كل هذه الدراسات،وذكرت في فهرس البحث ما وقفت عليه من رسائل وأبحاث،وإن كان بحثي بهذا العنوان لم أقف عليه فيما ذكرت من الدراسات السابقة، وقد جاء البحث ليقف عند المنهج الشرعي السليم في التعامل مع آثار الحضارات القديمة، واقتضت طبيعة البحث أن يُقّسَّم إلى مقدمة، وتمهيد، وثلاثة مباحث، وخاتمة، تحت عنوان: **تأملات قرآنية في آثار الحضارات القديمة"دراسة استقرائية"**.

خطة البحث :واقتضت خطة البحث أن تتكون من مقدمة، وتمهيد، وثلاثة مباحث وأما المقدّمة فتضمنت أسباب اختيار الموضوع، ومنهج البحث، ومشكلة البحث، والدراسات السابقة، والتمهيد قد اشتمل على التعريف بمفردات عنوان البحث كالتالي:

أولاً: مفهوم الآثار في اللغة

علم الآثار في الاصطلاح

ثانياً: الحضارة لغة واصطلاحًا

المبحث الأول: التاريخ والآثار: نافذة على حضارات الماضي ويشتمل علي مطلبين

المطلب الأول: فن التاريخ: بين المعرفة والاعتبار:

المطلب الثاني: الآثار كعبرة ودليل على مصير الأمم:

المبحث الثاني: حديث القرآن الكريم عن آثار الحضارات القديمة ويشتمل علي مطلبين

المطلب الأول: نداء لاستكشاف آثار الأمم الغابرة والتأمل فيها:

المطلب الثاني:زيارة المعالم الأثرية في الإسلام:رؤية وعناية:

المبحث الثالث: من آثار الحضارات القديمة التي تحدث عنها القرآن الكريم ويشتمل علي مطلبين

المطلب الأول: قوم عاد في القرآن عبرة من مآسي الأمم البائدة:

المطلب الثاني: قوم ثمود شهادة على حضارات غابرة:

الخاتمة وتشمل أهم النتائج

فهرس الموضوعات

التمهيد

أولاً مفهوم الآثار في اللغة: الآثار في اللغة جمع أثر،والأثر يطلق ويراد به عدة معان منها: إن الأَثر:بَقِيَّةُ الشَّيْءِ،وَالْجَمْعُ آثَارٌ وأُثور، وَخَرَجْتُ فِي إِثْره وَفِي أَثَره أَي بَعْدَهُ،والأَثر،بِالتَّحْرِيكِ مَا بَقِيَ مِنْ رَسْمِ الشَّيْءِ، والآثارُ: الأَعْلام،والأَثَرُ: الأَجل،وَسُمِّيَ بِهِ لأَنه يَتْبَعُ الْعُمْرَ،وأَصله مَنْ أَثَّرَ مَشْيُه فِي الأَرض،فإِنَّ مَنْ مَاتَ لَا يَبْقَى لَهُ أَثَرٌ وَلَا يُرى لأَقدامه فِي الأَرض أَثر،والأُثْرَة، بِالضَّمِّ: أَن يُسْحَى بَاطِنُ خُفِّ الْبَعِيرِ بِحَدِيدَةٍ لِيُقْتَصّ أَثرُهُ،وأَثَرَ خفَّ الْبَعِيرِ يأْثُرُه أَثْراً وأَثّرَه:حَزَّه، والأَثَرُ: سِمَة فِي بَاطِنِ خُفِّ الْبَعِيرِ يُقْتَفَرُ بِهَا أَثَرُهُ،وَالْجَمْعُ أُثور، والمِئْثَرَة والثُّؤْرُور،عَلَى تُفعول بِالضَّمِّ:حَدِيدَةٌ يُؤْثَرُ بِهَا خُفُّ الْبَعِيرِ لِيُعْرَفَ أَثرهُ فِي الأَرض،والأَثْرُ: مَصْدَرُ قَوْلِكَ أَثَرْتُ الْحَدِيثَ آثُرُه إِذا ذَكَرْتُهُ عَنْ غَيْرِكَ[1]، والأَثَرُ بالتحريك:ما بقي من رسْم الشيء وضربة السيف

(1) لسان العرب محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى(ت/ 711هـ)،(6،5/4)،دار صادر، بيروت، ط3 - 1414 هـ

[1]وتَقول:جئتُكَ على أَثَـره وإِثْرِه،وَالْجمـع آثـارٌ،وأَثَّر فِيـهِ تَـأْثِيراً: تَـرَكَ فِيـهِ أَثَراً،والآثارُ:الأَعْلَامُ، واحِدُة الأَثَرُ[2]، الفرق بين الاثر والعلامة:إن أثر الشئ يكـون بعده، وعلامته تكون قبله تقول الغيوم والرياح علامات المطرومدافع السيول آثـار المطر[3]، وَالْأَثَرُ الاسْتِقْفَاءُ وَالِاتِّبَاعُ، وَالْأَثَارَةُ:الْبَقِيَّةُ مِنَ الشَّيْءِ، وَالْجَمْعُ أَثَارَاتٌ،وَمِنْـهُ قَوْلُهُ"أَوْ أَثَارَةٍ مِنْ عِلْمٍ"الأحقاف:4[4]وآثره إيثارا اخْتَارَهُ وفضله وَيُقَال آثره على نَفسه وَالشَّيْء بالشَّيْء خصّه بِهِ

وَجعله يتبع أَثَره، وأثر فِيهِ ترك فِيهِ أثرا،وائتثره تتبع أَثَـره، والْآثَـار علـم الْآثَـار مصطلح مَعْنَاهُ معرفَة الْقَدِيم أَو علم الوثائق الْقَدِيمَة،والإثار شبه كيس يشد على الثدي حَتَّى لَا يتدلى وعَلى الْفَاكِهَة وقاية لَهَا،والأثرة الْمنزلَة يُقَال لفُلَان عِنْدِي أَثَرَة وتفضيل الْإِنْسَان نَفسه على غَيره وَفِي الحَدِيث "سَتَرَوْنَ بعدِي أَثَرَة"[5]،والأثري مـن الْأَشْـيَاء الْقَدِيم الْمَأْثُور والمشتغل بدراسة الْآثَار[6]

علم الآثار في الاصطلاح: عرَّف مجمع اللغة العربية علم الآثار بقوله: علم الوثـائق والمخلفات القديمة وهذا التعريف قاصر؛ إذ لا يتناول المواقع التي لا يوجد فيها أمور

---

(1)الصحاح تـاج اللغـة وصـحاح العربيـة أبـو نصـر إسـماعيل بـن حمـاد الجـوهري الفارابي(ت/393هـ)،(575/2)، مادة أثر،ت/أحمد عبد الغفـور عطـار،دار العلـم للملايـين، بيروت،ط4 1407 هـ، 1987م

(2) تاج العروس من جواهر القاموس محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسـيني، أبـو الفـيض، الملقب بمرتضى، الزَّبيدي (ت/1205هـ)،(14/10)،مادة أثر،ت/ مجموعة من المحققين،الناشر: دار الهداية.

(3) معجم الفروق اللغوية = الفروق اللغوية بترتيب وزيادة أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري (ت/ نحو395هـ)،(15/1)ت/الشـيخ بيـت الله بيـات، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بـ "قم"،ط1، 1412هـ

(4) مقاييس اللغة مقـاييس اللغـة أحمـد بـن فـارس بـن زكريـاء القزوينـي الرازي،أبـو الحسين(ت/395هـ)،(1/ 54)ت/ عبد السلام محمد هارون،دار الفكر،عام النشـر: 1399هـ، 1979م.

(5) صحيح البخاري الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسـلم وسننه وأيامه = محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي،(114/3)،باب القطائع،ت/ محمـد زهير بن ناصر الناصر،دارطوق النجاة(مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمـد فـؤاد عبـد الباقي)، ط1، 1422هـ

(6)المعجم الوسيط (5/1) مجمع اللغة العربية بالقاهرة،(إبراهيم مصطفى/أحمد الزيات/ حامد عبد القادر/ محمد النجار)،الناشر: دار الدعوة

عينية، وهي من الآثار،ويمكن أن يقال في تعريفها بأنها: ما يدل على أثر مَنْ سلف من الأمم[1].

وقيل: علم الْآثَار مصطلح مَعْنَاهُ معرفَة الْقَدِيم أَو علم الوثائق الْقَدِيمَة[2]،وقيل: بَقِيَّةُ مَا يُرَى مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَمَا لَا يُرَى بَعْدَ أَنْ تَبْقَى فِيهِ عَلَقَةٌ، وقيل الآثار: هي اللوازم المعللة بالشيء[3]

وقيل علم الآثار: العلم الخاصّ بدراسة القديم من تاريخ الحضارات الإنسانيّة،أوعلم معرفة بقايا القوم من أبنية وتماثيل ونقود وفنون وحضارة،وعلم الآثار هو فرع من فروع علم التاريخ وهو علم يعنى بنشاط الإنسان السياسي والعلمي في الماضي،ومن المعايير التي يعتمد عليها علماء الآثار في تحقيق هذا التاريخ الأشياء المادية المتبقية من العهود القديمة كالأدوات والنقوش التي يعثر عليها في الأماكن القديمة،ووقف هذا العلم وعلماء هذا العلم مبهورين أمام المعلومات والوثائق التاريخية الموجودة في القرآن الكريم منذ أربعة عشر قرناً والتي لم

تكتشف ولم تكن معروفة حتى زمن قريب[4] .

---

(1)الكتاب المعجم الوجيز المؤلف مجمع اللغة العربية(ص5)،الناشر: مجمع اللغة العربية،سنة النشر1989م،تعظيم الآثار رؤية شرعية محمد بن عبد الله الهبدان،(ص2)،المصدر: الشاملة الذهبية، أرشيف ملتقى أهل الحديث، 3 (15/28) م تحميله في: المحرم 1432 هـ = ديسمبر 2010 م،هذا الجزء يضم:،منتدى القرآن الكريم وعلومه،منتدى عقيدة أهل السنة والجماعة،منتدى الدراسات الفقهية،منتدى أصول الفقه،منتدى اللغة العربية وعلومها،منتدى السيرة والتاريخ والأنساب رابط الموقع: http://www.ahlalhdeeth.com، مجلة البيان (6/162) صدر عن المنتدى الإسلامي.

(2)المعجم الوسيط مجمع اللغة العربية بالقاهرة (5/1).

(3)التعريفات علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (ت/816هـ)،(9/1)،ت/ ضبطه وصححه جماعة من العلماء،دار الكتب العلمية بيروت، لبنان،ط1 1403هـ ،1983م،مقاييس اللغة أحمد بن فارس،(54/1).

(4) الموسوعة الميسرة في الإعجاز العلمي في القرآن الكريم والسنة الصحيحة المطهرة شحاتة محمد صقر،(56/9)، دار الخلفاء الراشدين، الاسكندرية،دار الفتح الإسلامي،حقوق الطبع محفوظة،المصدر:الشاملة الذهبية، معجم اللغة العربية المعاصرة د أحمد مختار عبد الحميد عمر(ت/1424هـ) بمساعدة فريق عمل،(61/1)،،الناشر:عالم الكتب،ط1،1429هـ، 2008 م

والهدف من دراسة هذه المخلفات المادية المجموعة من حضارة الماضي هو التوصل منها إلى نتائج، والعلم الذي يدرس ذلك هو علم الآثار،وعلى هذا فاكتشاف الآثار ليس غاية علمية بحد ذاته،ولكن بما يمده هذا الأثر من إضاءة جديدة على الحضارة الماضية،وفي هذا محاولة للوقوف على التاريخ الغابر،فهو في المحصلة النهائية تقنية لفهم الماضي [1]

فعلم الآثار يعنى قصة الإنسان كما تظهرها الأشياء التي تَّلفت عنه،وهو بالدرجة الأولى البحث عن المعرفة وليست مجرد البحث عن الأشياء[2]

ثانياً الحضارة لغة: جاء في لسان العرب: والحَضَرُ خلافُ البَدْوِ،والحاضِرُ خِلَافُ الْبَادِي،الْحَاضِرُ الْمُقِيمُ فِي المُدُنِ والقُرَى،وَالْبَادِي الْمُقِيمُ بِالْبَادِيَةِ،وَيُقَالُ فُلَانٌ مَنْ أَهل الْحَاضِرَةِ

وَفُلَانٌ مَنْ أَهل الْبَادِيَةِ،وَفُلَانٌ حَضَرِيٌّ وَفُلَانٌ بَدَوِيٌّ،والحِضارَةُ:الإقامة فِي الحَضَر[3]

وَالْحَضَرُ بِفَتْحَتَيْنِ خِلَافُ الْبَدْوِ وَالنِّسْبَةُ إِلَيْهِ حَضَرِيٌّ عَلَى لَفْظِهِ وَحَضَرَ أَقَامَ بِالْحَضَرِ وَالْحَضَارَةُ بِفَتْحِ الْحَاءِ وَكَسْرِهَا سُكُونُ الْحَضَرِ وَحَضَرَنِي كَذَا خَطَرَ بِبَالِي[4]

يقول الجوهري: حَضْرَةُ الرجل: قُربه وفِناؤه،والحَضْر: بلدٌ بإزاء مَسكَن،ويقال: كَلَّمته بَحَضْرَةِ فلانٍ وبِمَحْضَرٍ من فلان،أي بمشهدٍ منه وحكى يعقوبُ: كلَّمته بَحَضرِ فلان،بالتحريك أيضاً: خلاف البَدْو،والمَحْضَرُ: السِجِلُّ،والمحضر المرجع إلى المياه[5]

الحضارة في الاصطلاح: هي جملة مظاهر الرُّقِي العلمي والفني والأدبي والاجتماعي في مجتمع من المجتمعات،أو في مجتمعات متشابهة فهي مرحلة سامية من مراحل

---

(1) أحكام الآثارفي الشريعة الاسلامية دراسة عقدية، دخالد بن عبدالعزيز السيف(ص147)،كلية الشريعة والدراسات الاسلامية ـــ قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة ـــ جامعة الفصيم.

(2) الموجز فى علم الآثار،د/على حسن(ص10)، الهيئة المصية العامة للكتاب 1993 م.

(3) لسان العرب، (197/4)، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية الجوهري (633/2)، تاج العروس محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي (ت/1205 هـ)،(286/6)ت/علي شيري،دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.

(4)المصباح المنير في غريب الشرح الكبير أحمد بن محمد بن علي الفيومي ثم الحموي، أبو العباس(ت/ نحو 770هـ)، (140/1)،المكتبة العلمية، بيروت

(5)الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية الجوهري (632/2).

التطور الإنساني[1]،وقيل:هي الإبداعُ البشريُّ في مختلف حقول النشاط الإنساني الذي ينتج عنه التقدمُ في مسيرة الإنسان على هذه الأرض من النواحي كافة، فالحضارة هي نتاج عقل الإنسان وجهدُه في زمان معلوم ومكان محدَّد[2]،وعرفها ابن خلدون بقوله: الحضارة إنما هي تفنُّنٌ في الترف وإحكام الصنائع المستعملة في وجوهه ومذاهبه(3)،وقيل: الحضارة هي ثمرة كل جهد يقوم به الإنسان لتحسين ظروف حياته سواء أكان المجهود المبذول للوصول إلى تلك الثمرة مقصوداً أم غير مقصود وسواء أكانت الثمرة مادية أم معنوية(4)،وكثرة التعاريف للحضارة؛ جعلت بعض الباحثين يعرضون عنها؛ ولا أرى حاجة إلى الإطالة في تعريف الحضارة على نحو ما يصنع كثير من الكاتبين،على أني لم أقف إلى الآن على تعريف علمي دقيق لها،على الرغم من كثرة ما ظهر من كتابات مختلفة عنها(5)،فالآثار والحضارة مرتبطتان بفهم تاريخ البشرية، حيث تعكس الآثار ما تركته الأمم السابقة، وتُظهر الحضارة التطور الذي حققته المجتمعات عبر الزمان،وبالرغم من تعدد تعريفات الحضارة، والذي يعكس تنوع مظاهرها،إلا أن هناك صعوبة في الوصول إلى تعريف علمي دقيق لها، وتتجلى الحضارة كثمار لكل جهد يبذله الإنسان لتحسين ظروف حياته، سواء كان هذا الجهد مقصوداً أم غير مقصود، ومهما كانت الثمار

(1)محمد صلى الله عليه وسلم الرسول والرسالة (ص44) ياسر تاج الدين،المصدر: الشاملة الذهبية.

(2)القرآن الكريم وخطابه المتجدد محمد العلمي، (ص9) المصدر: الشاملة الذهبية

(3)مقدمة ابن خلدون ولي الدين أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن الحضرمي الأشبيلي المالكي المعروف بابن خلدون(ص172) مؤسسة الأعلمي للمطبوعات بيروت، تاريخ ابن خلدون، ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبرعبد الرحمن بن محمد بن محمد، ابن خلدون أبو زيد، ولي الدين الحضرمي الإشبيلي (ت 808هـ)،(216/1)ت/خليل شحادة،دار الفكر، بيروت،ط2، 1408هـ، 1988 م

(4) الحضار،د/حسين مؤنس(ص13)الكتاب من سلسلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والآداب ــ بالكويت

(5)منهج الحضارة الإنسانية في القرآن د/محمد سعيد رمضان البوطي،(ص19)،دار الفكر،دمشق،ط1، 1987م

مادية أو معنوية، ويُعتبر الإبداع البشري في مختلف المجالات أحد نتائج الحضارة، التي تُعبر عن جهود العقل البشري في زمان ومكان محددين.

المبحث الأول: التاريخ والآثار: نافذة على حضارات الماضي

تُعد دراسة علم التاريخ والآثار من المجالات الهامة التي تساهم في فهم تطور الحضارات الإنسانية وثقافاتها عبر العصور،فهي ليست مجرد دراسة للماضي، بل هي أداة لفهم الحاضر وبناء مستقبل أفضل، كما تسهم في رفع الوعي بأهمية حماية التراث الثقافي، مما يساعد على الحفاظ عليها للأجيال القادمة، ويوفر التاريخ دروسًا قيمة حول كيفية التعامل مع التحديات والمشاكل، وأن الأحداث التاريخية،تمثل عبرة للأمم، وأن تكذيب الرسل والأنبياء كان له عواقب وخيمة على المجتمعات ،وقد اشمتل هذا المبحث علي مطلبين هما :

المطلب الأول: فن التاريخ: بين المعرفة والاعتبار: في التاريخ القديم والحديث عبر وعظات،وتوجيه للأنظار بأن ما حدث للماضين بسبب تكذيب الرسل والأنبياء،وقد يحدث للأقوام الآتية بعدهم،إذا ساروا في مسيرة من تقدمهم[1] ،وفي كتب التاريخ القديم والحديث ما يشهد على هذا![2]، وفن التاريخ فن عزيز المذهب،جم الفوائد،شريف الغاية إذ هو يوقفنا على أحوال الماضين من الأمم في أخلاقهم،والأنبياء في سيرهم،والملوك في دولهم،وسياساتهم،حتى تتم فائدة الاقتداء في ذلك لمن يرومه في أحوال الدين والدنيا،فهو محتاج إلى مآخذ متعدّدة ومعارف متنوّعة وحسن نظر وتثبّت يفضيان بصاحبهما إلى الحقّ وينكّبان به عن المزلّات والمغالط لأنّ الأخبار إذا اعتمد فيها على مجرّد النّقل ولم تحكم أصول العادة وقواعد السّياسة وطبيعة العمران والأحوال في الاجتماع الإنسانيّ ولا قيس الغائب منها بالشّاهد والحاضر بالذّاهب فربّما لم يؤمن فيها من العثور ومذلّة القدم والحيد عن

(1)التفسير الوسيط للزحيلي د وهبة بن مصطفى الزحيلي (1558/2)،دار الفكر، دمشق،ط1، 1422 هـ

(2)التفسير الواضح، محمد محمود حجازي، (535/1)،دار الجيل الجديد، بيروت،ط10، 1413 هـ

جادّة الصّدق[1]،فالمطلوب إذن هو دراسة التاريخ لا على أنه مجموعة من الحوادث حدثت بغير رابط ولا دلالة،ولكن على أنه يجري حسب السنن الربانية الثابتة،وأن هناك رباطاً يربط الأحداث هو قدر الله المقدور،الذي يسير حسب تلك السنن الثابتة،فإذا تدبَّر العقل ذلك ووعى عبرة التاريخ،فإنه كفيل ألا يقع فيما وقع فيه السابقون من أخطاء وخطايا،بل يقوّم خطاه بحيث لا تصطدم مع السنن الربانية،فيسير آمناً في الدنيا،وفي طريق يؤدي به إلى الأمن في الدار الآخرة[2]،فإذا لم يكن هناك حقائق لغوية وتاريخية من السهل أن يدعي كل واحد أنه ليس هناك من يسمى بـ "عمر بن الخطاب"أو بالرشيد أو بقطز أو بصلاح الدين[3]

يقول ابن الأثير: ولقد رأيت جماعة ممن يدعي المعرفة والدراية ويظن بنفسه التبحر في العلم والرواية يحتقر التواريخ ويزدريها ويعرض عنها ويلغيها ظنً منه أن غاية فائدتها إنما هو القصص والأخبار ونهاية معرفتها الأحاديث والأسمار،وهذه حال من اقتصر على القشر دون اللب نظره،وأصبح مخشلبا جوهره[4]،ومن رزقه الله طبعا سليما وهداه صراطا مستقيما علم أن فوائدها كثيرة ومنافعها الدنيوية والأخروية جمة غزيرة منها: أن الأنسان لا يخفي أنه يحب البقاء ويؤثر أن يكون في زمرة الأحياء

---

(1)الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير محمد بن محمد بن سويلم أبو شُهبة (ت/1403هـ)،(ص188) مكتبة السنة،ط4، تاريخ ابن خلدون "ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر"،ولي الدين الحضرمي الإشبيلي (ت/808هـ)،(13/1)، شذرات الذهب في أخبار من ذهب عبد الحي بن أحمد بن محمد ابن العماد العَكري الحنبلي،أبو الفلاح (ت1089هـ)،(14/1)ت/محمود الأرناؤوط ،خرج أحاديثه:عبد القادر الأرناؤوط، دار ابن كثير، دمشق، بيروت،ط1، 1406 هـ ،1986 م

(2)ركائز الإيمان محمد قطب بن إبراهيم،(ص335)،ت/علي بن نايف الشحود،1ط،1430هـ ،2009م

(3)التفسير والمفسرون أساسياته واتجاهاته ومناهجه في العصر الحديث،المؤلف: الأستاذ الدكتور فضل حسن عبَّاس، (683/1)،دار النفائس للنشر والتوزيع، الأردن، ط1، 1437هـ 2016 م

(4)المخشم: المكسر "المهشم"،وقيل: "المخشلب"، بفتح الميم والشين المعجمة بينهما الخاء ساكنة، وفتح اللام: خرز كاللؤلؤ يتخذ منه قلائد للجواري،وقيل: خرز يُتخذ منهُ حَلْي واحدته مَخْشَلَبة أعجميٌّ سُمِي باسم امْرَأة اتخذته حَلْياً،انظر:، المخصص أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي (ت 458هـ)،(375/1)،ت/خليل إبراهم جفال،دار إحياء التراث العربي، بيروت،ط1، 1417هـ 1996م، معجم متن اللغة أحمد رضا(عضو المجمع العلمي العربي بدمشق)، (281/2)،دار مكتبة الحياة، بيروت،عام النشر: 1377، 1380 هـ

فياليت شعري أي فرق بين ما رآه أمس أو سمعه وبين ما قرأه في الكتب المتضمنة أخبار الماضين وحوداث المتقدمين فإذا طالعها فكأنه عاصرهم وإذا علمها فكأنه حاضرهم،ومنها أن الملوك ومن إليهم الأمر والنهي إذا وقفوا على ما فيها من سيرة أهل الجور والعدوان ورأوها مدونة في الكتب يتناقلها الناس قيرويها خلف عن سلف ونظروا إلى ما أعقبت من سوء الذكر وقبيح الأحدوثة وخراب البلاد وهلاك العباد وذهاب الأموال وفساد الأحوال استقبحوها وأعرضوا عنها واطرحوها،وإذا رأوا سيرة الولاة العادلين وحسنها وما يتبعها من الذكر الجميل بعد ذهابهم،وان بلادهم وممالكهم عمرت استحسنوا ذلك ورغبوا فيه وثابروا عليه وتركوا ما ينافيه،هذا سوى ما يحصل لهم من معرفة الآراء الصائبة التي دفعوا بها مضرات الأعداء وخلصوا بها من المهالك واستصانوا نفائس المدن وعظيم الممالك، ولو لم يكن فيها غير هذا لكفي به فخر،ومنها ما يحصل للإنسان من التجارب والمعرفة بالحوادث وما تصير إليه عواقبها، فإنه لا يحدث أمر إلا قد تقدم هو أو نظيره فيزداد بذلك عقلاً،وأما الفوائد الأخروية فمنها ان العاقل اللبيب إذا تفكر فيها ورأى تقلب الدنيا بأهلها وتتابع نكباتها إلى أعيان قاطنيها وأنها سلبت نفوسهم وذخائرهم وأعدمت أصاغرهم وأكابرهم فلم تبق على جليل ولا حقير ولم يسلم من نكدها غني ولا فقير زهد فيها وأعرض عنها،وأقبل على التزود للآخرة منها ورغب في دار تنزهت عن هذه الخصائص وسلم أهلها من هذه النقائص[1]،والمطلوب من المؤرخ المسلم أن يستوعب كليات التصور القرآني للتاريخ البشري ويلتزم به في الكتابة التاريخية،ولو ظهرت بعض النظريات التي تخالف بعض هذه الكليات فليتهم هذه النظريات ما دامت لم تصبح حقائق قطعية،ومعظم استنتاجات التاريخ القديم ترتكز على علم الآثار والحفريات،وهي تعطي معلومات مشتتة لا تكفي لتغطية الفجوات الكبيرة في التاريخ البشري القديم، وإذا كان المؤرخ غير المسلم لا يستطيع التصور إلا من خلال الآثار

(1)الكامل في التاريخ أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري، عز الدين ابن الأثير (ت/630 هـ)،(10،9/1)،دار الكتب العلمية، بيروت، 1415هـ،ت/عبد الله القاضي.

المادية التي تزوده بالمعلومات،فإن المؤرخ المسلم يستند إلى القرآن الكريم الـــذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه،وهو الكتاب الإلهي الوحيد الـــذي لـــم ينلـــه التحريف والتبديل وهي نعمة عظيمة أنعمها الله تعالى على المسلمين بحفـــظ كتابـــه يتلونه كما أنزل في كل عصر،مطمئنة نفوسهم إلى أنه كلام الله مما له أعمق الأثـــر في نفوسهم وعقولهم وسلوكهم وشخصيتهم وطبيعة مجتمعهم وحضارتهم،وهو أمر لم يتحقق لأمة أخرى غير الأمة الإسلامية[1]

وقد أظهر صاحب التحرير والتنوير فوائد عديدة مـــن دراســـة قصـــص الســـابقين وتاريخهم، وأن هذا يعود علينا بالعديد من الفوائد،مع المحافظة على الغرض الأصلي الذي جاء به القرآن الكريم فذكر من هذه الفوائد"أَن ينشىء فِي الْمُسْلِمِينَ هِمَّةَ السَّعْيِ إِلَى سِيَادَةِ الْعَالَمِ كَمَا سَادَهُ أُمَمٌ مِنْ قَبْلِهِمْ لِيَخْرُجُوا مِنَ الْخُمُولِ الَّذِي كَانَ عَلَيْهِ الْعَرَبُ إِذْ رَضُوا مِنَ الْعِزَّةِ بِاغْتِيَالِ بَعْضِهِمْ بَعْضًا فَكَـــانَ مُنْتَهَـــى السَّـــيِّدِ مِـــنْهُمْ أَنْ يَغْـــنَمَ صُرَيْمَةً،وَمُنْتَهَى أَمَلُ الْعَامِّيِّ أَنْ يَرْعَى غُنَيْمَةً، وَتَقَاصَرَتْ هِمَمُهُمْ عَنْ تَطَلُّبِ السِّـــيَادَةِ حَتَّى آلَ بِهِمُ الْحَالُ إِلَى أَنْ فَقَدُوا عِزَّتَهُمْ فَأَصْبَحُوا كَالْأَتْبَاعِ لِلْفُرْسِ وَالرُّومِ،فَالْعِرَاقُ كُلُّهُ وَالْيَمَنُ كُلُّهُ وَبِلَادُ الْبَحْرَيْنِ تَبَعٌ لِسِيَادَةِ الْفُرْسِ،وَالشَّامُ وَمَشَارِفُهُ تَبَعٌ لِسِيَادَةِ الرُّومِ،وَبَقِيَ الْحِجَازُ وَنَجْدٌ لَا غُنْيَةَ لَهُمْ عَنِ الِـــاعْتِزَازِ بِمُلُـــوكِ الْعَجَـــمِ وَالـــرُّومِ فِـــي رِحْلَـــاتِهِمْ وَتِجَارَتِهِمْ،وكذلك مَعْرِفَةُ أَنَّ قُوَّةَ اللَّهِ تَعَالَى فَوْقَ كُـــلِّ قُـــوَّةٍ،وَأَنَّ اللَّـــهَ يَنْصُـــرُ مَـــنْ يَنْصُرُهُ،وَأَنَّهُمْ إِنْ أَخَذُوا بِوَسِيلَتَيِ الْبَقَاءِ مِنَ الِاسْتِعْدَادِ وَالِاعْتِمَادِ سَـــلِمُوا مِـــنْ تَسَـــلُّطِ غَيْرِهِمْ عَلَيْهِمْ،وَذِكْرُ الْعَوَاقِبِ الصَّالِحَةِ لِأَهْلِ الْخَيْرِ[2]،وقد أنزل الله القرآن وبيَّن فيـــه كثيرًا من أحوال الخلق وطباعهم والسنن الإلهية في البشر؛ فقـــص علينـــا أحســـن القصص عن الأمم وسيرها الموافقة لسنته فيها،فلابد للناظر في هذا الكتاب من النظر

(1)السيرة النبوية الصحيحة محاولة لتطبيق قواعد المحدثين في نقد روايات السيرة النبوية،د/ أكرم ضياء العمري،(1/ 32)،مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة،ط6،1415هـ 1994 م

(2)التحرير والتنوير"تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد» محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (ت/1393هـ)،(67/1)، الدار التونسية للنشر، تونس،سنة النشر،1984هـ

في أحوال البشر وأطوارهم وأدوارهم،ومناشئ اختلاف أحوالهم من قوة وضعف وعز وذل وعلم وجهل وإيمان وكفر،ومن العلم بأحوال العالم الكبير علوية وسفلية،ويحتاج في هذا إلى فنون كثيرة من أهمها علم التاريخ بأنواعه[1]،والعجيب أن القرآن الكريم أحال الناس من قديم على مخلّفات الأمم البائدة وآثارها،قبل أن يتقدم علم الآثار ليقرأ فيها الباحثون أخبار الأمم ويستنطقون أحوالها،وتأمل قوله"وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِمْ مُصْبِحِينَ وَبِاللَّيْلِ.. "الصافات 137،وقال لفرعون"فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً"يونس 92،ولقد أثيرت أسئلة حول موسى عليه السلام،وعلاقة فرعون بقومه،وزعم بعض المبشرين أنه كان مجرد طاغية كافر،ليس بينه وبين قومه علاقة عبادة،وأطلق بعض المبشرين ألسنتهم بما شاء لهم أدبهم في حق القرآن،لكن تقدم علم الآثار وتفوق العلماء في قراءة الأحافير جاء ليسجل مصداق ما جاء به القرآن الكريم،وأنه صحح أخطاء في تراث الأمم السابقة،وتفرّد بمعلومات دقيقة لم تكن معروفة عند أحد من العالم،أما بشأن فرعون فقد تبين من الآثار أنه كان يقيم نوعا من علاقة التأليه مع شعبه،كما اكتشفت جثته التي تفرد القرآن بالإخبار عن نجاتها"فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً"يونس 92وعقد الدكتور موريس بوكاي(2) فصلا مهما حول هذه القضية، وهو قد شاهد مومياء فرعون هذا بنفسه في متاحف القاهرة واختتم الفصل بقوله:أيّ بيان رائع لآيات القرآن ذلك الذي يخص بدن فرعون والذي تهبه قاعة المومياات الملكية بدار الآثار بالقاهرة لكل من يبحث في

(1) مفهوم السنن الربانية دراسة في ضوء القرآن الكريم د/ رمضان خميس زكي، (ص24)، المصدر الشاملة الذهبية

(2) وهو عالم فرنسي من أكبر الجراحين والأطباء المشهورين،اطلع على ترجمة فرنسية لمعاني كتاب الله أثناء زيارة له للمملكة العربية السعودية فشرح الله صدره للإسلام وأسلم بعد علم ودراية،وقام بالمقارنة بين التوراة والإنجيل والقرآن،وبين ما توصلت إليه الاكتشافات الحديثة،وله كتاب"دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة"،انظر:الإسلام أصوله ومبادئه محمد بن عبد الله بن صالح السحيم،(119/2) وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد،السعودية،ط1، 1421هـ،عناية المسلمين بإبراز وجوه الإعجاز في القرآن الكريم حسن عبد الفتاح أحمد(ص80)، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف،وقفة مع بعض الترجمات الإنجليزية لمعاني القرآن الكريم (ص3) وجيه حمد عبد الرحمن، مجمع الملك فهد لطباعة ،بالمدينة المنورة

معطيات المكتشفات الحديثة عن أدلة على صحة الكتب المقدسة،ففي عصر محمد صلى الله عليه وسلم كان كل شيء مجهول عن هذا الأمر ولم تكتشف هذه الجثث إلا في نهاية القرن التاسع عشر،وكما يقول القرآن فقد أنقذ بدن هذا الفرعون،وأياً كان هذا الفرعون فهو الآن في قاعة المومياءات الملكية في المتحف المصري بالقاهرة،ويستطيع الزوّار أن يروه[1]،فهذه المعلومة التاريخية عن مصير جثة فرعون لم تكن في حيازة أحد من البشر عند نزول القرآن ولا بعد نزوله بقرون عديدة،لكنها بُيِّنَت في كتاب الله قبل ألف وأربعمائة عام على لسان النبي الأمي، مما يشهد بأن مصدر هذا العلم هو الوحي الإلهي[2]،فأمر الله البحر أن يلقيه بجسده سوياً بلا روح،ليتحققوا من مَوْتَهُ وَهَلَاكَهُ؛وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى"فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً"أَيْ نَرْفَعُكَ عَلَى نَشَزٍ مِنَ الْأَرْضِ،بِجِسْمٍ لَا روح فيه[3]،فالله تعالى نجّى جثة فرعون بعد موته لتكون عبره لمن خلفه واكتفى وفيه الكفاية للمسلمين ولا نزيد،والعلم يقول بأن الفراعنة هم أهل التحنيط وسادته،وأن جثث الفراعنة قد حفظت ليومنا هذا على اليقين من علم الآثار والتاريخ،وهي ظاهرة للعيان[4]،والمعني: إننا اليوم بعد أن حل بك الموت،نلقى بجسمك الذي خلا من الروح على مكان مرتفع من الأرض لتكون عبرة وعظة للأحياء الذين يعيشون من بعدك سواء أكانوا من بني إسرائيل أم من غيرهم،حتى يعرف الجميع بالمشاهدة أو الإخبار،سوء عاقبة

(1) علوم القرآن الكريم نور الدين محمد عتر الحلبي(247/245/1)مطبعةالصباح دمشق ط1،1414ه 1993م

(2)الموسوعة الميسرة في الإعجاز العلمي في القرآن الكريم والسنة الصحيحة المطهرة شحاتة محمد صقر،(59/9)، دار الخلفاء الراشدين،الاسكندرية،دار الفتح الإسلامي،حقوق الطبع محفوظة،الشاملة الذهبية،علوم القرآن الكريم نور الدين محمد عتر الحلبي(245/1).

(3)مختصر تفسير ابن كثير،اختصار وتحقيق محمد علي الصابوني،(206/2)دار القرآن الكريم، بيروت، لبنان،ط7، 1402 هـ،1981م

(4)القول المعتبر في بيان الإعجاز للحروف المقطعة من فواتح السور إياس محمد حرب آل خطاب،(ص66)، مطابع برنتك للطباعة والتغليف،السودان، الخرطوم،ط1،2011

المكذبين،وأن الألوهية لا تكون إلا لله الواحد الأحد،الفرد الصمد[1]،ولعل أجساد الفراعنة المحنطه تقول لنا:إن علة حفظ الأبدان هي عبرة؛وليتعظ كل إنسان ويرى كيف انهارت الحضارات،وكيف بقيت تلك الأبدان آية نعتبر بها[2]،ويدّعى بعض الطاعنين في الإسلام أن محمدا صلى الله عليه وآله وسلم هو الذي كتب القرآن،وأنه نسخ قصص الأمم السابقة من التوراة والإنجيل،فأخطأ في شخصية هامان فذكر أنه وزير فرعون،بينما هو – حسب دعواهم– مساعد ملك بابل،وجاءت الكشوف الحديثة في علم الآثار لتظهر صدق ما جاء في القرآن الكريم وبطلان تلك الدعاوى المزعومة بعد أن حلت رموز وحروف الكتابة الهيروغليفية المصرية القديمة،التي ورد فيها ذكر شخصية هامان وطبيعة عمله،وهذا كله يثبت حقيقة ما جاء في القرآن من أن هامان كان في مصر وأنه كان مسؤول عن أعمال البناء وهذه المعلومات لم تكن متوفرة في عهد نبوة محمد صلى الله عليه وآله وسلم؛ لأن الكتابة الهيروغليفية قد تركت منذ زمن قديم،حيث يرجع آخر مثال معروف لاستخدامها إلى عام394 بعد الميلاد،ثم نسيت هذه اللغة ولم يكن هناك أحد يستطيع أن يحل رموزها أو يفهمها إلى حوالي 200سنة مضت في عام 1799م تم اكتشاف حجر رشيد [3].

يقول فضيلة الشيخ الشعراوي: ولقد قَصَّ علينا القرآن من التاريخ القديم قصة يأجوج ومأجوج أيام ذي القرنين،ثم رأيناهم في حياتنا الإسلامية،وشاء الله أن يستفيد المسلمون من هجمات هؤلاء البرابرة، وأن تتجمع ولاياتهم ويصدُّوا هجمات التتار على أرض مصر بقيادة قطز والظاهر بيبرس،والْمَقْصُودَ مِنْ ذِكْرِ هَذِهِ الْقَصَصِ حُصُولُ الِاعْتِبَارِ،كَمَا قَالَ تَعَالَى"لَقَدْ كانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبابِ"يوسف:

(1)التفسير الوسيط للقرآن الكريم محمد سيد طنطاوي،(128/7)، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع،الفجالة القاهرة،ط1،ترقيم الكتاب موافق للمطبوع،وهو ضمن خدمة مقارنة التفاسير،تاريخ النشر:أجزاء 3،1: يناير 1997،جزء 4: يوليو1997،جزء 5: يونيو1997

(2)تفسير الشعراوي محمد متولي الشعراوي (ت/1418هـ)،(6185/10)، الناشر: مطابع أخبار اليوم

(3) بينات الرسول صلى الله عليه وسلم ومعجزاته عبد المجيد بن عزيز الزنداني،(ص207،208) دار الإيمان،القاهرة

111،فَيَكُونُ ذَلِكَ زَاجِرًا لِأُمَّتِهِ عَنِ الْإِعْرَاضِ عَنِ الدَّلَائِلِ،وَبَاعِثًا لَهُمْ عَلَى التَّأَمُّلِ فِيهَا وَالِاعْتِبَارِ بِهَا[1]،وقد يكون مفيدا لمفسر القرآن في عصرنا أن يكون على اطلاع على ما تأكد من تاريخ الأمم القديمة التي أسهم علم الآثار في الكشف عن بعض أخبارها،كما أن معرفته بالمواقع الجغرافية التي ذكرت في القرآن يمكن أن يكون مفيدا في الكشف عن معنى كثير من الآيات الكريمة،وبذلك يتضح أن تفسير القرآن الكريم يحتاج إلى ثقافة موسوعية، وقاعدة علمية متعددة الجوانب[2]، وَفِي هَذَا الْعَصْرِ مِنَ الْعِبَرِ التَّارِيخِيَّةِ بِسُقُوطِ بَعْضِ الدُّوَلِ الْقَوِيَّةِ مَا لَا يَقِلُّ عَنِ الْعِبْرَةِ بِأَحْدَاثِ التَّارِيخِ الْقَدِيمِ[3].

فَلَيْسَ التَّارِيخُ – مِنْ حَيْثُ هُوَ تَارِيخٌ وَاحِدٌ – مِنَ الْعُلُومِ الَّتِي تُطْلَبُ مِنَ الْكِتَابِ الْإِلَهِيِّ، وَلَمْ يُذْكَرْ فِيهِ شَيْءٌ مِنْهُ بِقَصْدِ سَرْدِ حَوَادِثِ التَّارِيخِ، وَإِنَّمَا جَاءَ مَا جَاءَ فِيهِ مِنْ ذِكْرِ أُمَمِ الرُّسُلِ لِلْعِظَةِ وَالِاعْتِبَارِ،وَبَيَانِ سُنَنِ اللهِ تَعَالَى فِي الْأُمَمِ وَالْأَقْوَامِ، وَتَثْبِيتِ قَلْبِ خَاتَمِ الرُّسُلِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ[4]،ولا شك أن فن التاريخ يشتمل على فوائد جمة، حيث يكشف عن أحوال الأمم السابقة من خلال أخلاقهم وسير الأنبياء وملوكهم،مما يوفر دروسًا للقدوة في الدين والدنيا،لذا يجب دراسة التاريخ كترابط بين الأحداث وفق السنن الربانية، مما يساعد على تجنب الأخطاء السابقة وتحقيق التوجيه الصحيح في الحياة، إذا تم فهم التاريخ بشكل عميق، يمكن للإنسان أن يسير في حياته بأمان ويحقق النجاح في الدنيا والآخرة.

وكما أن أهداف علم الآثار تتسق مع أهداف علم التاريخ في كونهما يسجلان تاريخ الجماعات البشرية، ففيما يركز علم التاريخ علي الوثائق المكتوبة،والرواية الشفاهية

---

(1) تفسير الشعراوي (ت/ 1418هـ)،(9651/16،298/17).

(2)محاضرات في علوم القرآن أبو عبد الله غانم بن قدوري بن حمد بن صالح، آل موسى فَرَج الناصري التكريتي، (ص224)،دار عمار،عمان،ط1،1423هـ،2003 م

(3) تفسير المنار تفسير القرآن الحكيم ، محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين بن منلا علي خليفة القلموني الحسيني(ت/1354هـ)،(482/9) الهيئة المصرية العامة للكتاب1990 م

(4) تفسير المنار(1/ 178)

في تسجيل الأحداث والوقائع، فإن علم الآثار يعتمد أساساً علي دراسة البقايا المادية التي خلّفتها الجماعات البشرية عبر العصور وتحليلها، وكما يفيد علم الآثار كذلك من العلوم الطبيعية والتطبيقية في الدراسة والتحليل،وكذلك من الوثائق التاريخية المكتوبة،والرواية الشفاهية،لأجل وضع تصور متكامل ونتائج دراسية لحال المجتمعات البشرية في الماضي[1].

المطلب الثاني: الآثار كعبرة ودليل على مصير الأمم: إن مصطلح الآثار مصطلح معاصر يشمل ما كان مدفوناً،أو ظاهراً من مخلفات الأمم والحضارات السابقة،مع الأخذ بعين الاعتبار اختلاف العصور في تقدير قيمة هذه الآثار، ففي السابق كان ينظر إلي قيمتها المادية فقط،ويبحث عنها من أجل ذلك،أما اليوم فينظر إلي قيمتها الماية وقيمتها المعنوية،فلها أهمية دينية من حيث تذكير الأجيال الحاضرة بمصير الأجيال السابقة،وبما فيها من عظة وعبرة مما حلّ بهؤلاء نتيجة كفرهم واستكبارهم، جاء ذلك في كثير من الآيات البينات في كتاب الله العظيم" قُلْ سِيرُوا فِي الأَرْضِ ثُمَّ انْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ"الانعام11،أي: قُلْ يَا مُحَمَّدُ لِهَؤُلَاءِ الْمُكَذِّبِينَ الْمُسْتَهْزِئِينَ، سِيرُوا فِي الْأَرْضِ، مُعْتَبِرِينَ،وَكَيْفَ أُوْرَثُهُمُ الْكُفْرَ الهلاك، يُحَذّر كُفَّارَ مَكَّةَ عَذَابَ الْأُمَمِ الْخَالِيَةِ [2]،وَهَذَا السَّفَرُ مَنْدُوبٌ إِلَيْهِ إِذَا كَانَ عَلَى سَبِيلِ الِاعْتِبَارِ بِآثَارِ مَنْ خَلَا مِنَ الْأُمَمِ وَأَهْلِ الدِّيَارِ،وَالْعَاقِبَةُ في آخِرُ الْأَمْرِ[3]،والمعني: جولوا في بلاد المكذِّبين رسلَهم، ثم انظروا كيف أعقَبَهم تكذيبهم ذلك، الهلاكَ والعطبَ وخزيَ الدنيا وعارَها،وما حَلَّ بهم من سَخَط الله عليهم،من البوار وخراب الديار وعفوِّ

(1)أحكام الآثار في الفقة الاسلامي د/عبدالله بن أحمد بن عامر الرميح،(ص26) رسالة دكتوراة ـــ جامعة القصيم، العام الجامعي 1431هـ ،1432هـ، إشراف/ا.د/صالح بن عبد الله اللاحم

(2)تفسير البغوي محيي السنة محمد بن الفراء البغوي الشافعي(ت/510هـ)، إحياء التراث (111/2)

(3) تفسير القرطبي (395/6).

الآثار،فاعتبروا به،وإن لم تنهكم حُلُومكم، ولم تزجركم حُجج الله عليكم،عمَّا أنتم عليه،فاحذروا مثل مصارعهم،واتقوا أن يحلّ بكم مثلُ الذي حلّ بهم(1).

وتُعد الآثار على اختلاف أنواعها وأشكالها مبعث فخرٍ للأمم واعتزازها، فهي بما تحمله من قيم ومعاني دليل على العراقة والأصالة والمعبرة عن الهوية الوطنية،بوصفها صلة بين ماضي الأمم وحاضرها، كما أصبح ينظر إليها كركيزة أساسية في بناء اقتصاد العديد من الدول،فالآثار بالنسبة للدول والشعوب رصيدها الدائم من التجارب والخبرات والمواقف التي تعطي الإنسان القدرة على أن يواجه تحديات الحاضر ويتصور المستقبل،بوصفها كذلك أهم مكونات القدرة الطبيعية والبشرية الممتدة إلى أعمق جذورها التاريخية[2]،ثم إن نظرة الإسلام لمسألة الآثار تنسجم مع دعوته للسياحة في الأرض والنظر في ملكوت الله وفي آثار السابقين لاستخلاص الدروس والعبر وتعظيم سبل الاستفادة بين الناس، فهي من الأدلة المحسوسة على سنن الله المطردة في خلقه،فدراسة علم الآثار يفتح المجال أمام العلماء لمعرفة تاريخ الأمم والحضارات،واكتشافات حضارات مُندثرة كانت في طيَّ النسيان، واستخلاص الدروس والعبر منها التي تفيدنا في حياتنا[3]،والآثار في كتاب الله عز وجل قضية هائلة ولهذا حرص أعداء هذه الأمة أن يأخذوا كل آثارها لأن هذه الآثار وثيقة وجنسية الأمة،فأمة بلا آثار ما تملك أن تعرف من هي؟،وعندما تزور أنت آثار الفراعنة تلك الحضارة العريقة الممدودة في كل التاريخ وعمقه راحت بثوان، انتهى الأمر،وحينئذٍ أي عبرة هذه وأي عظة! كلما ذهبت إلى مصر

(1) جامع البيان ت شاكر محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (ت/310هـ)،(11/ 272)ت/أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة،ط1، 1420هـ ،2000 م، تفسير المراغي أحمد مصطفى المراغي،(7/ 83)،دار إحياء التراث العربي للطباعة والنشر والتوزيع،ط2،تاريخ النشر: 1985 م

(2)الحماية القانونية للآثار على ضوء التشريعات الوطنية والاتفاقيات الدولية أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه إعداد الطالبة /حمادو فاطيمة (ص1)،إشراف،ا.د/هديلي أحمد، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، جامعة جيلالي ليابس سيدي بلعباس، كلية الحقوق والعلوم السياسية،1440،1439هـ، 2019،2018م

(3)علم الآثار بين النظرية والتطبيق، عاصم محمد رزق،(ص86)،مكتبة مدبولي،الاسكندرية

ورأيت الأهرامات وعظمتها وعظمة الآثار وعظمة القصور وعظمة المُلك كيف زال هذا المُلك؟!حينئذٍ أنت انظر"كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ"[1] ،فهذه الأهرامات التي يَفِد إليها الناس، والتي تُعَدُّ مزاراً سياحياً هي آية من آيات الله تقوم دليلاً على هلاك أصحابها من المكذِّبين للرسل، فالحق سبحانه لم يترك لأحد من خَلْقه عذراً بعد أنْ كشف له الآيات الكونية تشهد بوحدانيته تعالى وألوهيته[2]،وكما تبين رؤية الآثار أن الأمم التى شيدت حضارتها على القوة المادية وحدها ودون مراعاة الأخذ بسنن الله في النظم والعلاقات البشرية فى كافة جوانبها سرعان ما تصبح هذه الأمم أثراً بعد عين،وذكرى يرويها التاريخ للأجيال المتعاقبة،فمن يشاهدها تتوارد على نفسه الخواطر،وعلى عقله الأفكار والتساؤلات كيف كانوا؟ أين هم الآن؟ وبهذا يصل المشاهد لها إلى أصل من أعظم أصول العلم؛وهو العلم بسنن الله تعالى فى شؤون البشر عامة،فبقاء الاتعاظ والاعتبار مرتب ببقاءالآثار،فإن هدمت الآثار وحرِمت زيارتها ضاعت حقيقة الاتعاظ والاعتبار، وتعطلت آيات القرآن الكريم الكثيرة القاضية بذلك[3]،وكما أن وجود الآثار يوحي بإيجابية الإنسان في الحياة،وتبرز مشاركته الفعالة في الإبداع والعمارة التي خلقه الله من أجلها،وكما أن وجود الآثار في دولة ما يدل على أن لهذه الدولة حضارةً عريقةً وتاريخاً عظيماً مما يعطي لهذه الدولة خصوصية وقوة تعزز انتماء أبنائها لوطنهم وأرضهم وأسلافهم، وتحتم عليهم حماية حضارتهم وتاريخ شعبهم،وكما تكمن أهمية الآثار من الناحية الاقتصادية بما تملكة الدولة من آثار وكنوز ثمينة من حيث القيمة والآثر مما يزيد من القوة

(1) لمسات بيانية لسور القرآن الكريم (نسخة معدلة)(242/2)،(279،278/4) المؤلف/ د. فاضل السامرائي،د/ حسام النعيمي،د/ أحمد الكبيسي،المصدر:حلقات (لمسات بيانية)د/ فاضل السامرائي،د/حسام النعيمي، والكلمة وأخواتها/ أحمد الكبيسي،وبعض كتب د/فاضل السامرائي،عدد الأجزاء: 13

(2) تفسير الشعراوي(11859/19)

(3)الحفاظ على الآثار التاريخية في ضوء الدعوة الاسلامية د/ محمود رشاد محمد،(ص1253،1250)

الاقتصادية للدولة[1]،وكما دلت الآثار أنّ الإنسان كان يمارس العبادة، فالإنسان القديم منذ فجر الإنسانية أحس بحاجته للدين،وكان نزوعه للدين واضحا في تفكيره وسلوكه،وكان سعيه البدائي للبحث عن الدين مؤكد أصالة الشعور الديني في تكوين الإنسان،قد يخطئ الإنسان الطريق، وقد يضل في بحثه عن الدين،ولكنه لم يستطع أن يتخلص بطريقة فعلية من الدين،وأثبتت الآثار القديمة التي اكتشفها الإنسان بأنّ الإنسان البدائي كان يمارس عبادته الدينية بطريقة تلائمه،وكانت له شعائر دينية يتمسك بها،ولما بدأت الحضارات لم تستطيع أن تضعف الشعور الديني،ونما هذا الشعور في ظل الحضارة،وأصبحت المعابد الصروح الأولى التي بناها الإنسان،وما زلنا حتى اليوم نجد في المعابد القديمة رموزا تؤكد على عمق الشعور الديني لدى الإنسان القديم، ولعلنا لا نبالغ إذا قلنا: إن الحضارات الأولى كانت حضارات ذات مضامين دينية،وارتبط الدين منذ القديم بمفهومين: الأول: ارتباط الدين بالحضارة والثقافة، وهذا ما يؤكد أن المعابد القديمة كانت مراكز إشعاع ثقافي وعلمي،فالدين يدعو إلى العلم ويشجع التعليم، وكان رجال الدين هم علماء عصرهم،وكانت المعابد الأولى مدارس للتعليم، وحيث يكون الدين تكون الحضارة وحيث يكون الدين تكون الثقافة، وفي تاريخنا الإسلامي كانت المساجد هي المدارس الأولى،وكانت هي الجامعات الأولى في العالم الإسلامي،وأول تدوين منظم ومدقق كان تدوين القرآن، وأول علم من علوم العربية كان في إطار علوم القرآن[2]،فالآثار هي نتاج تفاعل ونشاط حيوي إنساني مع واقعة ومحيطه علي الصعيد الفردي أو الجماعي،وقد استخدم فيه أدوات ساعدته علي العيش،وأبدع وصنع من خلالها أشياء ساهمت في تقدم وتطور مجتمعاتهم،ثم صبِغت هذة المجتمعات بصفات وخصائص جعلت منها حضارات إنسانية فريدة،ثم ذهب أصحابها،وتلاشت هذة الحضارات وبقي ما أبدعوا

(1)حماية الآثار في الفقه الإسلامي،إعدد/أحمد خالد أحمد نوفل،(ص17)،رسالة ماجستير ــ كلية الشريعة والقانون ــ الجامعة الاسلامية ـــــ غزة 2071م

(2)المدخل إلى علوم القرآن الكريم،محمد فاروق النبهان(ص28،29)،دار عالم القرآن ،حلب،ط1، 1426هـ، 2005

وأنتجوا،وصنعوا شواهد علي هذة الحضارات،ولأهمية هذة الآثار والشواهد، وجدنا الدول والأمم اليوم تتنافس في الكشف عن هذة الآثار والتعرف عليها،وامتلاكها ودرستها، وتلتزم بالدفاع عنها وحمايتها والحفاظ عليها،فهذا الاهتمام المعاصر بالآثار هو نتاج ما اكتشفه الإنسان من أهميةٍ عظيمةٍ لهذة الآثار على أكثر من صعيد إيماني ونفسي وعلمي واقتصادي وغيرها،وكما تذكر الآثار الأجيال الحاضرة بمصير الأجيال السابقة، وأعمالهم ونتاجهم، بما فيها من عظة وعبرة لعاقبة هؤلاء الناس نتيجة كفرهم واستكبارهم، ولذلك وجدنا القرآن يدعونا في كثير من آياته للسير في الأرض والنظر في آثار أسلافهم [1]،فالسير في البلاد للعظة والاعتبار تقويةً للإيمان[2].

ويعقد كتاب الله مقارنة بين الحال التي وجد الإسلام عليها الناس عند نزول القرآن،والحالة التي عرفتها البشرية قبل ذلك،في القرون الخالية والأمم البائدة،مشيرا إلى أن الحضارات السابقة كانت أقوى،وأن الأرض كانت أكثر ازدهارا وعمرانا،لكن لما أساء أهلها التصرف فيما آتاهم الله من قوة وثروة وعمران،ولم يهتدوا بالمنهج الإلهي في تدبير شؤونهم،ورموا بكتب الله ورسالاته عرض الحائط،أفلت من يدهم الزمام،وحكم عليهم لسان القدرة بالإعدام،وذلك قوله تعالي"كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا الْأَرْضَ" الروم 9،أي حرثوها واستثمروها إلى أقصى حد[3]

فنجد في آثار الحضارات السابقة ما هو قائم من بقايا أعمدة ونقوش،ومنها ما هو مُحطَّم،ولذلك يقول الحق سبحانه"وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِمْ مُصْبِحِينَ وباليل أَفَلاَ تَعْقِلُونَ"الصافات 137138 أي: إنكم تشاهدون من الآثار ما هو قائم وما هو حطيم.ويقول تعالى عن تلك القرى"وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ ولكن ظلموا أَنفُسَهُمْ" هود 101

(1) حماية الآثار في الفقه الإسلامي/ أحمد خالد نوفل (ص15).
(2) أيسر التفاسير للجزائري جابر بن موسى بن عبد القادر بن جابر أبو بكر الجزائري،(558/4)،مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة،السعودية،ط5،1424هـ/2003م
(3)التيسير في أحاديث التفسير محمد المكي الناصري (ت/1414هـ)،(24/5)،دار الغرب الإسلامي، بيروت،لبنان،ط1،1405هـ، 1985 م

ويبيِّن سبحانه هنا أنه حين أخذ تلك الأقوام بالعذاب لم يظلمهم؛لأن معنى الظلم أن يكون لإنسانٍ الحق،فتسلبه هذا الحق،وفي واقع الأمر، أن تلك الأمم التي كفرت وأخذها الله بالعذاب،هي التي ظلمت نفسها بالشرك،وكذَّبت تلك الأقوام الرسل الذين جاءوا وفي يد كل منهم دليل الصدق وأمارات الرسالة،وهكذا ظلم هؤلاء الكفار أنفسهم؛ لذلك لا بد من أن نعلم أن الحق سبحانه مُنزَّه عن أن يظلم أحداً[1]، وكل الحضارات القديمة قد زالت في غالبيتها ولا أثر لها،وإن وجد أثر،فهو أثر قليل وبسيط لا يحمل كل سمات الحضارة، إلا آثار الفراعنة؛ حيث تحوي مسلات ضخمة وأعمدة عالية وأهرامات كبيرة وهي باقية،في حين انطمست غالبية آثار الحضارات إلا آثار حضارة آل فرعون التي يأتي إليها الناس من أنحاء الدنيا كلها؛ ليتعجبوا من جمال البناء وروعة الفن وقمة التقدم في التصميم الهندسي،وكيف نُقِلت هذه الأحجار الضخمة إلى الأماكن العليا دون سقالات،وكيف ارتبطت الأحجار كلها مع بعضها البعض كل هذه السنوات الطويلة دون استخدام الأسمنت أو غيره من مواد التثبيت للأحجار،بل تم ذلك بتفريغ الهواء،فكيف استطاعت هذه الهندسة العجيبة أن تفرغ الهواء بين حجرين كبيرين ضخمين؛ ليلتصقا ببعضهما التصاقاً محكماً بغير لاصق ولا يستطيع أحدا أن يزحزحه،فإذا كانت حضارة الفراعنة قد وصلت إلى هذا الفن الهندسي باستخدام تفريغ الهواء بين أثقال ضخمة فهي حضارة راقية جدا،هذا إن نظرنا إلى فن البناء فقط،وكذلك إن نظرنا إلى تحنيط الجثث التي لا يعرف أحد سرها حتى الآن، وكيف أمكن المحافظة على المومياوات آلاف السنين دون أن تتحلل،وكذلك إن نظرنا إلى الألوان التي طليت بها المعابد والرسومات وبقيت زاهية كما هي رغم كل ذلك الزمن الطويل،وإلى الحبوب التي حُنطت وبقيت آلاف السنين دون أن يصيبها أي تلف،بل وصالحة للطعام،هذه الحضارة التي احتفظت بأسرار هذه الأشياء فلم تصل إليها البشرية حتى الآن،لا بد من أن تكون حضارة قوية وعالية، ولكنها رغم قوتها وعلوها لم تستطع أن تحفظ نفسها من الانهيار لتصبح أثراً وتظل

(1) تفسير الشعراوي (11/ 6667)

آثاراً،أين ذهب صناع هذه الحضارة وقد بلغوا شأواً كبيراً وملكوا زمام الدنيا في عصرهم؟ لا بد – إذن – من وجود قوة أعلى منهم،قد دكتهم،ولماذا أتى الله بآل فرعون في هذه الآية بالاسم بينما أتى بالحضارات التي كانت قبلهم إجمالاً؟،فقال تعالى"كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ والذين مِن قَبْلِهِمْ"الأنفال: 52،لأن آثار آل فرعون قد كشف الله عنها ورَغَّبَ فيها البشرية كلها؛ ليأتوا ويروا تلك الحضارة الهائلة التي لم تستطع أن تحمي نفسها،وذلك الفرعون الذي ادعى أنه إله يستطيع أن يضمن لنفسه البقاء، وشاء الله سبحانه أن تبقى آثار هذه الحضارة ليشاهدها الناس جميعاً،ثم يرون أن الله ــ عَزَّ وَجَلَّ،قد أهلك أصحابها وأصبحوا أثراً بعد عين؛ ليعرفوا أن القوة لله جميعاً،وأن الألوهية لله وحده،وأن كل شيء هالك إلا الله؛ لذلك ذكرت حضارة آل فرعون مخصصة،وهذا الذكر لآثار قوم فرعون من إعجازات القرآن؛ لأنه ذكر هذه الحضارة تخصيصاً ثم جاء الحق بخير الحضارات الأخرى إجمالاً؛قوم نوح وعاد وإرم وثمود، وكلهم كَفَرُواْ بِآيَاتِ الله [1]

فالآثار من أهم الشواهد المادية علي تجارب البشر التاريخية علي مر العصور،فهي تسهم في سد الفجوات المجهولة في تاريخ العديد من حضارات الأمم السابقة، ويكفي الآثار شرفاً أن القرآن الكريم ذكرها وذكر سير أصحابها، وذلك ليدرسها الخلف ويستفيدون منها وهم يخططون للحاضر والمستقبل على حد سواء، فهي من الأشياء التي تشتاق النفس إلى معرفتها والاطلاع عليها،وعلي الرغم من الأهمية العلمية الكبرى لهذه الآثار،إلا أنها تتعرض الآن للكثير من المشكلات والتحديات،وفي مقدمتها عمليات التخريب والتدمير التي تقع عليها من قبل الجماعات المتطرفة فكرياً،والتي لم تستثن حتى الآثار الإسلامية بما فيها المساجد والقلاع والحصون التي طالما دافعت عن بلاد المسلمين عبر العصور،وكانت حجة هذه الجماعات المتطرفة

(1)تفسير الشعراوي (8/4753،4754)

في تدمير هذا الإرث الإنساني العظيم، أن هذه الآثار خاصة غير الإسلامية من بقايا الوثنية وأن تدميرها واجب شرعي يجب تنفيذه(1)

إن دراسة التاريخ والآثار تعزز لدينا فهم تطور الحضارات الإنسانية وثقافاتها على مر العصور، فهي ليست مجرد تسجيل للماضي، بل أداة لفهم الحاضر وبناء مستقبل أفضل، وتساعد في رفع الوعي بأهمية حماية التراث الثقافي للأجيال القادمة، وتسهم في فهم وتفسير القرآن الكريم، وتقدم دروسًا قيمة حول كيفية التعامل مع التحديات، وتشير إلى عواقب تكذيب الرسل والأنبياء، مما يبرز ضرورة التعلم من الماضي لتجنب الأخطاء نفسها في المستقبل ،علاوة على ذلك تشير إلى الحاجة الدينية التي كانت موجودة منذ فجر الإنسانية، حيث مارس الإنسان القديم عبادته بطرق مختلفة، مما يعكس أصالة الشعور الديني في تكوينه ،ولذلك نري أن الإسلام يشجع على استكشاف الآثار وتتبع التاريخ لاستخلاص الدروس والعبر، حيث تعكس الآثار سنن الله في خلقه،وأيضاً تمثل شاهدًا على حضارات قديمة وتذكرنا بعاقبة المكذبين،وكما أن الحفاظ على الآثار يعزز الوعي بأهمية التاريخ ويحفظ الهوية الثقافية، ويعكس جهود الإنسان في الإبداع، مما يساهم في تعزيز الانتماء الوطني ويعطي قوة اقتصادية للدولة، وأن الأمم التي تعتمد على القوة المادية فقط، دون مراعاة القيم الروحية، تصبح في النهاية مجرد ذكرى.

(1) دور الفكر الإسلامي في الحفاظ علي آثار الحضارات القديمة،ا.د/إمام الشافعي محمد حمودي ــ رئيس قسم التاريخ والحضارة بجامعة الأزهر،(ص3)،دار التعليم الجامعي ـــــ مصر ــ الاسكندرية

المبحث الثاني: حديث القرآن الكريم عن آثار الحضارات القديمة:

القرآن الكريم مرجعًا غنيًا للدروس والعبر المتعلقة بالحضارات القديمة، حيث يتناول العديد من الأمم التي عاشت في فترات سابقة وتعرضت لنتائج تمردها على أوامر الله، ويعكس القرآن من خلال آياته حالة تلك الحضارات، وما واجهته من تراجع أو انهيار، مما يتيح لنا فهمًا أعمق للتاريخ الإنساني ودروس الحياة.

وقد أشار القرآن الكريم إلى الكثير من الحضارات التي نشأت على مرِ الزمان وما أصابها من التراجع أو السقوط أو الانهيار وأحياناً الفناء "ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْقُرَى نَقُصُّهُ عَلَيْكَ مِنْهَا قَائِمٌ وَحَصِيدٌ"هود 100،وقد عبر بالمضارع مع أن القصص مضي وذلك لاستحضار حالة هذا القصص البليغ، وَالْمُرَادُ بِالْقَائِمِ مَا كَانَ مِنَ الْقُرَى الَّتِي قَصَّهَا اللَّهُ فِي الْقُرْآنِ قُرًى قَائِمٌ بَعْضُهَا كَآثَارِ بَلَدِ فِرْعَوْنَ كَالْأَهْرَامِ وَبَلْهُوبَةَ"وَهُوَ الْمَعْرُوفُ بِأَبِي الْهَوْلِ"وَهَيْكَلِ الْكَرْنَكِ بِمِصْرَ،وَمِثْلَ آثَارِ نِينَوَى بَلَدِ قَوْمِ يُونُسَ،وَأَنْطَاكِيَّةَ قَرْيَةِ

الْمُرْسَلِينَ الثَّلَاثَةِ، وَصَنْعَاءَ بَلَدِ قَوْمِ تُبَّعٍ،وَقُرًى بَائِدَةٍ مِثْلَ دِيَارِ عَادٍ، وَقُرَى قَوْمِ لُوطٍ، وَقَرْيَةِ مَدْيَنَ ويكون المقصود من هذه الجملة الاعتبار[1]

فالقرآن الكريم يلفت أنظار المخاطبين إلى مصير الأمم المكذبة،وما تلقوه من الضربات القاصمة جزاء تمردهم على أنبياء الله،ويرشدهم للنظر والتدبر في الديار التي يمرون عليه مصبحين وممسين،ليكون منها الدرس والعبرة والذكرى،وغاية القرآن الكريم من الإشاره إلى آثار الحضارات السابقة هداية الناس إلى الحق والعبرة عند النظر إلى هذه الآثار،وقد اشتمل هذا المبحث علي مطلبين اثنين هما:

المطلب الأول: نداء لاستكشاف آثار الأمم الغابرة والتأمل فيها: الحق سبحانه وتعالى كثيراً ما يُذّكر الناس في القرآن بأحوال المعتدين الهالكين،ويحثهم على أن يسيروا في الأرض لينظروا ما كانوا فيه من قوة ورغد عيش وحضارة وبسطة في العلم نظر عظة واعتبار، ليتذكروا طريقهم،اتقاء لسوء مصيرهم،فالآثار التي تركها السابقون من معابد،ومساكن وغيرها هي الدليل المحسوس للتعرف على سنن الله المطردة في خلقه،ونلاحظ أن القرآن الكريم لا يطلب النظرة العجلي،ولا الرؤية السريعة،ولكن يطلب إلينا أن نتأمل هذة الآثار بدقة،ونعرف الأخبار،وندرس الأسباب،ونفقة معنى النُذر لنتبين من خلال ذلك أنباء أقوام كانوا سادة فذلوا،والآيات التي تحث على النظر والتأمل،والدراسة والاعتبار بمصير الأمم السابقة كثيرة منها قوله تعالى:"قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ" آل عمران 137 ، واعلم أن الله- تعالى- لما وعد على الطاعة والتوبة من المعصية الغفران والجنات،أتبعه بذكر ما يحملهم على فعل الطاعة وعلى التوبة من المعصية،وهو تأمل أحوال القرون الخالية من المطيعين والعاصين فقال" قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ"، أى: قد جرت سننه- سبحانه- في خلقه أن يجعل العاقبة للمؤمنين

(1)التحرير والتنوير(158/12)، مجلة رَواء، التقدم الحضاري وتراجعه في ضوء القرآن الكريم،عبدالرازق ميزة نازي(ص59)،العدد الثالث عشر،رجب 1443هـ،فبراير 2022م،rawaa@islamicsham.org

الصادقين،وأن يملى للكافرين ثم يأخذهم أخذ عزيز مقتدر،فإن كنتم في شك من ذلك- أيها المؤمنون- فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كانَ عاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ،أي: فسيروا في الأرض متأملين متبصرين،فسترون الحال السيئة التي انتهى إليها المكذبون من تخريب ديارهم،وبقايا آثارهم،فإن مشاهدة آثار المتقدمين أثرا أقوى من أثر السماع، والتعبير بلفظ كيف الدال على الاستفهام،المقصود به تصوير حالة هؤلاء المكذبين التي تدعو إلى العجب، وتثير الاستغراب،وتغرس الاعتبار والاتعاظ في قلوب المؤمنين لأن هؤلاء المكذبين،مكن الله لهم في الأرض،ومنحهم الكثير من نعمه،ولكنهم لم يشكروه عليها، فأهلكهم بسبب طغيانهم،فهذه الآية وأشباهها من الآيات التي تدعو الناس إلى الاعتبار بأحوال من سبقوهم،وإلى الاتعاظ بأيام الله،وبالتاريخ وما فيه من أحداث،وبالآثار التي تركها السابقون،فإنها أصدق من رواية الرواة ومن أخبار المخبرين[1]، ويتأكد هذا المعنى بما جاء في قوله"وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هُمْ أَشَدُّ مِنْهُم بَطْشًا فَنَقَّبُوا فِي الْبِلادِ هَلْ مِن مَّحِيصٍ"ق 36،ومن وجوه القراءات في الآية المباركة وجه يدل على وجوب البحث والتنقيب في أحوال السابقين؛ وهو قوله"فنقِبوا" بكسر القاف والتشديد وهو مروي عن الأصمعي عن أَبِي عَمْرٍو،وأبى حيوة[2]،وفي توجيه هذه القراءة يقول العلماء قراءة ابن عباس وغيْره فَنَقَّبُوا بكسر القاف المشدّدة على الأمر خطابًا لأهل مكة،أي: فسيحوا في البلاد وابحثوا،وقرأ السلمي يحيى بن يعمر"فَنَقِّبُوا" بكسر القاف والتشديد على الأمر بالتهديد والوعيد؛أي طوفوا البلاد وسيروا[3]،ووجه القراءة هذا يدعو إلى السيْر في الأرض

---

(1)التفسير الوسيط لطنطاوي(269/2،270)، التفسير الكبير(392/4) ، الحفاظ على الآثار التاريخية في ضوء الدعوة الاسلامية د/ محمود رشاد محمد،(ص1246)، مجلة المجلة العلمية لكلية اصول الدين والدعوة بالزقازيق، العدد 27،الجزء 2، 2015م

(2)الكامل في القراءات والأربعين الزائدة عليها -يوسف بن علي بن جبارة بن محمد بن عقيل بن سواده أبوالقاسم الهذلي اليشكري المغربي(ت/465هـ)،ت/جمال بن السيد بن رفاعي الشايب (640/1) مؤسسة سما للتوزيع والنشر،ط1428،1هـ،2007م

(3)تفسير القرطبي أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (ت/ 671هـ)،(22/17)ت/هشام سمير البخاري،دار عالم الكتب، الرياض، المملكة =

والنظر في أحوال السابقين،والاعتبار بصنيع الله بهم؛ولن يتحقق ذلك إلا ببقاء الآثار الشاهدة بذلك؛وهذه قراءة شاذة إلا أن القراءة الشاذة حجة عند الأصوليين في استنباط الحكم الشرعي وإثباته بها،فدعاوى هدم الآثار،وطمسها بعد إذٍ هو تضييع للحقائق القرآنية الثابتة،وابتعاد عن المنهج الوسطي للإسلام [1]، وكذلك قوله تعالى:"أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ دَمَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلِلْكَافِرِينَ أَمْثَالُهَا"محمد: 10،فقد وبَّخهم- سبحانه- على عدم اعتبارهم بما في هذا الكون من عبر وعظات،والهمزة للاستفهام التقريعي،والفاء معطوفة على مقدر،أي: أقبعوا في مساكنهم فلم يسيروا في جنبات الأرض،فيشاهدون كيف كانت عاقبة المكذبين من قبلهم كقوم[2]عاد وثمود وقوم لوط إذ دمر تعالى عليهم بلادهم فأهلكهم وأولادهم وأموالهم[3]،فإنّ آثار ديارهم تنبئ عن أخبارهم [4]

وقوله تعالي:"أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ كَانُوا مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَآثَارًا فِي الْأَرْضِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَاقٍ" غافر21،أي إنهم يمرون عليهم مصبحين وبالليل،وإنهم ليشاهدوا آثارهم

العربية السعودية،الطبعة: 1423هـ/ 2003 م،منار الهدى في بيان الوقف والابتدا ومعه المقصد لتلخيص ما في المرشد أحمد بن عبد الكريم بن محمد بن عبد الكريم الأشموي المصري الشافعي (ت/ 1100ه)،(736/1)،ت/ شريف أبو العلا العدوى،دار الكتب العلمية بيْروت –ط 1،1422هـ،2002م

(1)مقدمات في علم القراءات محمد أحمد مفلح القضاة، أحمد خالد شكرى، محمد خالد منصور (معاصر)،(ص: 75)،دار عمار،عمان (الأردن)،ط1،1422هـ ،2001 م،الحفاظ علي الآثار التاريخية في ضوء الدعوة الاسلامية د/ محمود رشاد محمد،(ص1247)

(2)التفسير الوسيط محمد سيد طنطاوي،(227/13).

(3) أيسر التفاسير للجزائري (76/5).

(4)البحر المديد في تفسير القرآن المجيد أبو العباس أحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة الحسني الأنجري الفاسي الصوفي (ت/ 1224هـ)،(360/5)،ت/أحمد عبد الله القرشي رسلان،الناشر: الدكتور حسن عباس زكي ،القاهرة، الطبعة: 1419 هـ، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى (ت/ 982هـ)،(94/8)،دار إحياء التراث العربي، بيروت، التفسير الوسيط لطنطاوي (227/13).

ماثلة أمام أعينهم،مثل القلاع والمدائن الحصينة[1]،فكانوا يشاهدون آثار قوم صالح،ويشاهدون آثار غيرهم، وكان هؤلاء السابقون الظالمون أشد من مشركي قريش في القوة والبأس،وأشد منهم في إقامة المبانى الفارهة،والحصون الحصينة،فلما استمروا في جحودهم وكفرهم،أخذهم الله أخذ عزيز مقتدر بسبب ذنوبهم،وما كان لهم من دون الله من يدفع عنهم عذابه،أو يقيهم من بأسه[2]

ولما وعظهم سبحانه بصادق الأخبار عن قوم نوح ومن تبعهم من الكفار،وختمه بالإنذار بما يقع في دار القرار للظالمين الأشرار،أتبعه الوعظ والتخويف بالمشاهدة من تتبع الديار والاعتبار، بما كان لهم فيها من عجائب الآثار،من الحصون والقصور وسائر الأبنية الصغار والكبار،فقال موبخاً ومقرراً عاطفاً على ما تقديره ألم يتعظوا بما أخبرناهم به من الظالمين الأولين من تبعهم من الإهلاك في الدنيا المتصل بالشقاء في الأخرى"أو لم يسيروا"ولما كان المتقدمون من الكثرة والشدة والمكنة بحيث لا يعلمه إلا الله ولا يقدر آدمي على الإحاطة بمساكنهم، نبه عليه بقوله"في الأرض" أي: أرض ساروا فيها،وقوله"آثاراً في الأرض" لأن آثارهم لم يندرس بعضها إلى هذا الزمان وقد مضى عليها ألوف من السنين،وأما المتأخرون فتنطمس آثارهم في أقل من قرن[3]

يقول الإمام الفخر الرازي: وَالْمَعْنَى إنَّ الْعَاقِلَ مَنِ اعْتَبَرَ بِغَيْرِهِ،فَإِنَّ الَّذِينَ مَضَوْا مِنَ الْكُفَّارِ

كَانُوا أَشَدَّ قُوَّةً مِنْ هَؤُلَاءِ الْحَاضِرِينَ مِنَ الْكُفَّارِ،وَأَقْوَى آثَارًا فِي الْأَرْضِ مِنْهُمْ،وَالْمُرَادُ حُصُونُهُمْ وَقُصُورُهُمْ وَعَسَاكِرُهُمْ،فَلَمَّا كَذَّبُوا رُسُلَهُمْ أَهْلَكَهُمُ اللَّهُ بِضُرُوبِ الْهَلَاكِ مُعَجِّلًا حَتَّى أَنَّ هَؤُلَاءِ الْحَاضِرِينَ مِنَ الْكُفَّارِ يُشَاهِدُونَ تِلْكَ الْآثَارَ،فَحَذَّرَهُمُ اللَّهُ

(1) أنوار التنزيل وأسرار التأويل ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي (ت/685هـ)،(55/5)،ت/ محمد عبد الرحمن المرعشلي،دار إحياء التراث العربي، بيروت،ط1، 1418هـ.

(2)التفسير الوسيط لطنطاوي(276/12).

(3)نظم الدرر في تناسب الآيات والسور إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي(ت/ 885هـ)،(45/17)،دار الكتاب الإسلامي، القاهرة

تَعَالَى مِنْ مِثْلِ ذَلِكَ بِهَذَا الْقَوْلِ [1]. فقد كانت لهم المصانع،والقصور،والحصون وغير ذلك،وها هي أهرامهم، ومعابدهم،ودورهم،وقبورهم،ونصبهم،وتماثيلهم؛ كل ذلك يشهد بآثارهم التي ذكرها الله تعالى في كتابه الكريم،والتي لم تصل أخبارها إلى نبيه الصادق عليه الصلاة والسلام؛ فكانت إحدى معجزاته البينات[2]وكانت تلك الأمم الذين كانوا من قبلهم أشد منهم بطشا، وأبقى في الأرض آثارا،فلم تنفعهم شدة قواهم،وعظم أجسامهم،إذ جاءهم أمر الله،وأخذهم بما أجرموا من معاصيه،واكتسبوا من الآثام،ولكنه أباد جمعهم،وصارت مساكنهم خاوية منهم بما ظلموا[3]

وكذلك قوله تعالى "أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا الْأَرْضَ وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ"الروم 9،أي: أَعَمُوا ولم يسيروا فِي الْأَرْضِ فينظروا إلى آثار الذين من قبلِهِمْ كيف دمرهم الله،وأخلى بلادهم،وبقيت دراسة بعدهم، كعاد وثمود وغيرهم

من الأمم العاتية،والجبابرة الطاغية[4]، ونجد أن الحق سبحانه وتعالى قال في سورة العنكبوت"أَوَلَمْ يَرَوْا"في موضعين هما الآية 19،67ولَمْ يَقُلْ"أَوَلَمْ يَسِيرُوا" إِذْ لَا حَاجَةَ هُنَاكَ إِلَى السَّيْرِ بِحُضُورِ النَّفْسِ وَالسَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، وقال هاهنا أَوَلَمْ يَسِيرُوا... فَيَنْظُرُوا ذَكَّرَهُمْ بِحَالِ أَمْثَالِهِمْ وَوَبَالِ أَشْكَالِهِمْ، ثُمَّ ذَكَرَ أَنَّهُمْ أَوْلَى بِالْهَلَاكِ لِأَنَّ مَنْ تَقَدَّمَ مِنْ عَادٍ وَثَمُودَ كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَلَمْ تَنْفَعْهُمْ قُوَاهُمْ وَكَانُوا أَكْثَرَ مَالًا وَعِمَارَةً، وَلَمْ

(1) مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (ت/ 606هـ)،(505/27)،دار إحياء التراث العربي، بيروت،ط3،1420هـ

(2)أوضح التفاسير محمد محمد عبد اللطيف بن الخطيب (ت/ 1402هـ)،(573/1)،المطبعة المصرية ومكتبتها،ط6، رمضان 1383هـ، فبراير 1964 م

(3) جامع البيان أبو جعفر الطبري (371/21).

(4)البحر المديد في تفسير القرآن المجيد أبو العباس أحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة الحسني الأنجري الفاسي الصوفي(ت/1224هـ)،(327/4)ت/أحمد عبد الله القرشي رسلان،الناشر الدكتور حسن عباس زكي،القاهرة،1419هـ

يَمْنَعْ عَنْهُمُ الْهَلَاكَ أَمْوَالُهُمْ وَحُصُونُهُمْ[1]،لكن هل أنسير في الأرض أم على الأرض؟،هذا من دقة الأداء القرآني، ومظهر من مظاهر إعجازه،فالظاهر أننا نسير على الأرض،لكن التحقيق أننا نسير في الأرض؛لأن الذي خلقنا وخلق الأرض قال"سِيرُواْ فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّاماً آمِنِينَ"سبأ: 18(2).

فالفرق بين السير على الأرض وفي الأرض يشير إلى أن السير في الأرض يعني التفاعل مع تاريخ الأمم السابقة والتعلم من مصير المكذبين،وأن الهدف من السير هو التعرف على أحوال السابقين،وأن المعرفة قد تتحقق بطرق متعددة،وليس بالضرورة من خلال السير الفعلي،وأن هذا السير وسيلة لاكتساب المعرفة والعبرة،سواء من خلال المشاهدة المباشرة أو من خلال كتب التاريخ.

وأيضاً قوله تعالى:"قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ "آل عمران 137أي فسيروا فى الأرض وتأملوا فيما حلَّ بالأمم قبلكم ليحصل لكم العلم الصحيح المبنى على المشاهدة والاختبار،وتسترشدون بذلك إلى أن المصارعة قد وقعت بين الحق والباطل في الأمم السالفة،وانتهى أمرها إلى غلبة أهل الحق لأهل الباطل،والسير في الأرض والبحث عن أحوال الماضين وتعرف ما حل بهم،نعم العون على معرفة تلك السنن والاعتبار بها،وقد نستفيد هذه الفائدة بالنظر في كتب التاريخ التي دونها من ساروا في الأرض، ورأوا آثار الذين خلوا،فتحصل لنا العظة والعبرة،ولكنها تكون دون اعتبار الذين يسيرون في الأرض بأنفسهم، ويرون الآثار بأعينهم[3]،والآية دالة على وجوب النظر والسير في الأرض إما حسي وإما معنوي بالنظر في كتب التواريخ المتعددة، بحيث يحصل للناظر فيها العلم،أو ما يقرب منه وهو أولى؛لأن التواريخ المتقدمة يحصل بها من الكشف والاطلاع ما لا

(1)تفسير الرازي (25/ 83).
(2)تفسير الشعراوي (11323/18).
(3) تفسير المراغي أحمد بن مصطفى المراغي (ت/1371هـ)،(77/4)، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي بمصر،ط1، 1365 هـ، 1946 م

يحصل للناظر فيها العلم، أو ما يقرب منه وهو أولى؛ لأن التواريخ بالسير الحسي في الأرض لعجز الإنسان وقصوره[1]،إذن فانظروا إلى مساكنهم الباقية لتدلكم على ما حدث لهم،فصراع الحق والباطل قد تقدم ووقع في أمم قد سبقتكم وبقيت لها مساكن، فمن شاء أن يذهب إليها ليتأكَّد فليذهب،ولا تزال مدائن صالح،ولا تزال آثار عاد هناك ،وكل مكان فيه أثر من الآثار، ولذلك يوضح الحق: فإن كنتم تريدون التأكد من ذلك فأنا قد أخبرت،ومن آمن بي فليصدق خبري،ولغير المؤمن ولمن يريد اطمئنان قلبه يقول له:" فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ"(2)،فالسير في الأرض أو قراءة التاريخ يساهمان في اكتساب المعرفة الصحيحة المبنية على المشاهدة،والمعرفة المكتسبة من مشاهدة الآثار أقوى من تلك المكتسبة من السماع،فالنظر في آثار الحضارات التي اندثرت يوفر العبرة للمؤمنين، وان الصراع بين الحق والباطل قد حدث في الماضي وأن العواقب كانت لصالح الحق.

وكذلك قوله تعالى"فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ"النحل 36،أي: مآل أمرهم،وخراب منازلهم بالعذاب،والهلاك؛ فتعتبروا[3]،فالْأَمر بالسير فِي الْأَرْضِ لِيَنْظُرُوا آثَارَ الْأُمَمِ فَيَرَوْا مِنْهَا آثَارَ اسْتِئْصَالِ مُخَالِفٍ لِأَحْوَالِ الْفَنَاءِ الْمُعْتَادِ، وَلِذَلِكَ كَانَ الِاسْتِدْلَالُ بِهَا مُتَوَقِّفًا عَلَى السَّيْرِ فِي الْأَرْضِ،وَلَوْ كَانَ الْمُرَادُ مُطْلَقُ الْفَنَاءِ

(1) تفسير ابن عرفة النسخة الكاملة محمد بن محمد ابن عرفة الورغمي التونسي المالكي، أبو عبد الله (ت/ 803هـ)، (415/1)ت/جلال الأسيوطي،دار الكتب العلمية، بيروت،لبنان،ط1، 2008م.

(2) تفسير الشعراوي (1767/3).

(3)اللباب في علوم الكتاب أبو حفص سراج الدين عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي النعماني (ت/775هـ)، (54/12)ت/الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض،دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان،ط1، 1419هـ ،1998م.

لأَمَرَهُمْ بِمُشَاهَدَةِ الْمَقَابِرِ وَذِكْرِ السّلف الْأَوَائِل[1]،ولكن أمرهم بالسير لينظروا عاقبة المكذبين،أي:مآل أمرهم، وخراب منازلهم بالعذاب،والهلاك؛ فتعتبروا[2]

وكذلك قوله تعالى" قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ "النمل 69 أي: في أرض من كان قبلكم من المكذبين وديارهم،مثل الحجر والأحقاف والمؤتفكات ونحوها، "فَانْظُرُوا"بأبصاركم، وفكروا بقلوبكم "كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ" أي: آخر أمر المكذِّبين لرسلهم بسبب التكذيب،حيث أهلكوا بأنواع العذاب؛أي: فانظروا كيف كانت هي،ألم يُخْربها الله تعالى،ويهلك أهلها بتكذيبهم رسلهم، فخلت منهم الديار،وعفت عنهم الرسوم والآثار،وكان ذلك عاقبة إجرامهم[3]،وقيل:"قل سيروا" أي بالاعتبار،واطلبوا الحقَّ بنعت الافتكار،وانظروا: كيف كان حال من تقدَّمكم من الأشكال والأمثال؟ وقيسوا عليها حُكْمَكم في جميع الأحوال[4]،فبسببِ تكذيبِهم للرُّسلِ عليهمْ الصَّلاةُ والسَّلامُ فيما دَعَوهم إِلَيْهِ منَ الإيمانِ باللهِ عزَّ وجلَّ وحَدهُ وباليومِ الآخرِ الذي تُنكرونَهُ فإنَّ في مشاهدةِ عاقبتِهم ما فيهِ كفايةٌ لأُولي الأبصارِ وفي التعبيرِ عن المُكذبينَ بالمجرمينَ لُطفٌ بالمؤمنينَ في تَرْكِ الجرائم[5].

وقوله تعالى:" أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ"يوسف109، للاستفهام التوبيخي الإنكاري،أي: كيف صار آخر أمر المكذبين

---

(1)التحرير والتنوير (151/14).

(2)اللباب في علوم الكتاب (54/12).

(3) تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن الشيخ العلامة محمد الأمين بن عبد الله الأرمي العلوي الهرري الشافعي،(27/21)،إشراف ومراجعة د/ هاشم محمد علي بن حسين مهدي،دار طوق النجاة، بيروت، لبنان،ط1،1421هـ، 2001م.

(4)لطائف الإشارات تفسير القشيري عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري (ت/465هـ) (122/3)ت/إبراهيم البسيوني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر،البحر المديد في تفسير القرآن المجيد أبو العباس أحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة الحسني الفاسي الصوفي (ت/ 1224هـ)،(347/4)ت/أحمد عبد الله القرشي رسلان،الناشر: الدكتور حسن عباس زكي، القاهرة، 1419ه، ط3

(5)إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم (298/6).

للرسل والآيات ممن كانوا قبلهم من الأمم الماضية كقوم لوط وصالح وسائر من عذبهم الله من الأمم، فيعتبروا بما حل بهم من عذابنا حتى ينزجروا عما هم فيه من التكذيب،وألا يحيق بهم مثل ما حاق بهم؛ لأن التماثل في الأسباب يوجب التماثل في المسببات[1]،والمعني: ولو أنهم ساروا في الأرض ونظروا نظرة اعتبار،لرأوا قُرَى مَنْ نحتوا بيوتهم في الجبال وقد عصف بها الحق سبحانه، ولَرأوْا أن الحق قد صَبَّ سَوْط العذاب على قوم عاد وآل فرعون،فإن لم تَخَفْ من الآخرة؛ فعليك بالخوف من عذاب الدنيا[2].

وقوله تعالى"أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا"الحج46

،فالمقصود منه ذكر ما يتكامل به ذلك الاعتبار لأن الرؤية لها حظ عظيم في الاعتبار وكذلك استماع الأخبار فيه مدخل،ولكن لا يكمل هذان الأمران إلا بتدبر القلب لأن من عاين وسمع ثم لم يتدبر ولم يعتبر لم ينتفع ألبتة ولو تفكر فيما سمع لانتفع، فلهذا قال"فَإِنَّهَا لاَ تَعْمَى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي فِي الصدور" الحج46، كأنه قال لا عمى في أبصارهم فإنهم يرون بها لكن العمى في قلوبهم حيث لم ينتفعوا بما أبصروه، وههنا سؤال: قوله"أَفَلَمْ يَسِيرُواْ فِي الأرض" هل يدل على الأمر بالسفر الجواب: يحتمل أنهم ما سافروا فحثهم على السفر ليروا مصارع من أهلكهم الله بكفرهم ويشاهدوا آثارهم فيعتبروا، ويحتمل أن يكونوا قد سافروا ورأوا ذلك ولكن لم يعتبروا فجعلوا كأن لم يسافروا ولم يروا [3]

وقوله تعالى: "أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَكَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِنْ شَيْءٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا "فاطر44،"أولم يسيروا"أي فيما مضى من الزمان "في الأرض" أي التي ضربوا في المتاجر بالسير إليها في الشام واليمن والعراق "فينظروا" أي فيتسبب

(1)تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن (138/14).
(2)تفسير الشعراوي (7131/12)
(3) مفاتيح الغيب (129/11)

لهم عن ذلك السير أنه يتجدد لهم نظر واعتبار يوماً من الأيام،فإن العاقل من إذا رأى شيئاً تفكر فيه حتى يعرف ما ينطق به لسان حاله إن خفي عنه ما جرى من مقاله، وأشار بسوقه في أسلوب الاستفهام إلى أنه لعظمه خرج عن أمثاله فاستحق السؤال عن حاله "كيف كان عاقبة" أي آخر أمر "الذين" ولما كان عواقب الدمار في بعض ما مضى من الزمان، أثبت الجار فقال"من قبلهم"أي على أيّ حالة كان أخذهم ليعلموا أنهم ما أخذوا إلا بتكذيب الرسل فيخافوا أن يفعلوا مثل أفعالهم فيكون حالهم كحالهم[1]، فقد نبههم بتذكير حال الأولين، فَإِنَّهُمْ كَانُوا مَارِّينَ عَلَى دِيَارِهِمْ رَائِينَ لِآثَارِهِمْ وَأَمْلُهُمْ كَانَ فَوْقَ أَمَلِهِمْ وَعَمَلُهُمْ كَانَ دُونَ عَمَلِهِمْ[2]، أما الأولون فلطول أعمارهم وشدة اقتدارهم،وأما عملهم فلأنهم لم يكذبوا مثل محمد، وأنتم يا أهل مكة كذبتم محمداً ومن تقدمه، وقوله" وَكَانُواْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً"،وفي سورة الروم" كَانُواْ أَشَدَّ "الروم9 من غير واو،وقال ههنا بالواو فما الفرق؟نقول: قول القائل: أما رأيت زيداً كيف أكرمني، وأعظم منك، يفيد أن القائل يخبره بأن زيداً أعظم،وإذا قال: أما رأيته كيف أكرمني هو أعظم منك يفيد أنه قد تقرر أن كلا المعنيين حاصل عند السامع كأنه رآه أكرمه ورآه أكرم منه ولا شك أن هذه العبارة الأخيرة تفيد كون الأمر الثاني في الظهور مثل الأول بحيث لا يحتاج إلى إعلام من المتكلم ولا إخبار،إذا علمت هذا فنقول المذكور ههنا كونهم أشد منهم قوة لا غير،ولعل ذلك كان ظاهراً عندهم فقال بالواو أي نظركم كما يقع على عاقبة أمرهم يقع على قوتهم،وأما هناك فالمذكور أشياء كثيرة فإنه قال" كَانُواْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُواْ الأرض وَعَمَرُوهَا الروم9 (3).

(1)نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (76/16).
(2)مراح لبيد لكشف معنى القرآن المجيد محمد بن عمر نووي الجاوي البنتني إقليما، التناري بلدا (ت/1316هـ)، (282/2)ت/محمد أمين الصناوي،دار الكتب العلمية، بيروت،ط1، 1417هـ،تفسير الرازي(248/26).
(3) مفاتيح الغيب(494/12).

فالقرآن يتحدث عن أهمية الاعتبار بعواقب الأمم السابقة التي كذبت رسلها وكيف انتهى بها الأمر إلي الهلاك والدمار،ويُحث الناس على السير في الأرض لرؤية آثار تلك الأمم، مثل قوم لوط وعاد، ليعتبروا ويتفكروا في مصير المكذبين،ويُشير إلى أن الرؤية وحدها لا تكفي؛ بل يجب أن يكون هناك تفكر وتأمل في العبر المستخلصة،وأن الأمم السابقة كانت أكثر قوة ،لكنهم هُلكوا بسبب تكذيبهم، وأن من لم يعتبر بما حدث لهم قد يُواجه نفس العاقبة، وينبغي أن يكون لدى الناس وعي بأهمية الإيمان والتفكر في مصير المكذبين.

وكذلك قوله:"قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ انْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ"الأنعام 11،سِيرُوا فِي الْأَرْضِ كَشَأْنِكُمْ وَعَادَتِكُمْ، وَتَنَقَّلُوا فِي دِيَارِ أُولَئِكَ الْقُرُونِ الَّذِينَ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ وَمَكَّنَّا لَهُمْ مَا لَمْ نُمَكِّنْ لَكُمْ،ثُمَّ انْظُرُوا فِي أَثْنَاءِ كُلِّ رِحْلَةٍ مِنْ رِحْلَاتِكُمْ آثَارَ مَا حَلَّ بِهِمْ مِنَ الْهَلَاكِ، وَتَأَمَّلُوا كَيْفَ كَانَتْ عَاقِبَتُهُمْ بِمَا تُشَاهِدُونَ مِنْ آثَارِهِمْ،وَمَا تَسْمَعُونَ مِنْ أَخْبَارِهِمْ[1]،فـ "ثم" للتراخي الرُّتبي،كما هو شأنها في عطف الجمل فَإِنَّ النَّظَرَ فِي عَاقِبَةِ الْمُكَذِّبِينَ هُوَ الْمَقْصِدُ مِنَ السَّيْرِ،فَهُوَ مِمَّا يُرْتَقَى إِلَيْهِ بَعْدَ الْأَمْرِ بِالسَّيْرِ،وَلِأَنَّ هَذَا النَّظَرَ مُحْتَاجٌ إِلَى تَأَمُّلٍ وَتَرَسُّمٍ فَهُوَ أَهَمُّ مِنَ السَّيْرِ،وفِي هَذِهِ الْآيَةِ كَيْفَ كَانَ عاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ وَهَذَا رَدٌّ جَامِعٌ لِدَحْضِ ضَلَالَاتِهِمُ الْجَارِيَةِ عَلَى سُنَنِ ضَلَالَاتِ نُظَرَائِهِمْ مِنَ الْأُمَمِ السالفة المكذّبين [2]،ونفهم من الآية أنّ النظر في مصارع المكذبين دواء[3].

ونعلم أن الحق لم يقل أبداً سيروا على الأرض؛ لأن الأرض ظرف يسير فيه الإنسان،والإنسان مظروف في الأرض،وقد حدث هذا البلاغ من الله قبل أن نصل بالعلم إلى معرفة أن الأرض كروية ومعلقة في الهواء،والهواء يحيط بها،وأن الهواء هو أقوات الإنسان بما فيه من أوكسجين وبما يغذي النبات من ثاني أوكسيد

(1) تفسير المنار(268/7).
(2)التحرير والتنوير (149/7)
(3)الأساس في التفسير سعيد حوّى (ت/1409 هـ)،(1584/3)،دار السلام، القاهرة،ط6، 1424هـ

الكربون،ونعلم أن الإنسان يصبر على الطعام لأسابيع ويصبر على الماء لأيـــام ولا يصبر على انقطاع الهواء عنه للحظات،ولذلك لا يملَّك الله الهواء لأحد أبدا، وهكـــذا عرفنا أن الهواء من جنس الأرض، وعندما يسير الإنسان فالهواء يحيطه،وعلى ذلك فهو يسير في الأرض،وهذا من الإعجاز الأدائي في القرآن ونقرأ قوله الحق"فَسِيرُواْ فِي الأرض فانظروا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ المكذبين" النحل: 36،وهنا في سورة الأنعـــام يقول الحق سبحانه"قُلْ سِيرُواْ فِي الأرض ثُمَّ انظروا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ المكـــذبين"،فما الفرق بين الاثنتين؟ خصوصاً ونحن نعلم أن الفاء من حروف العطف وكذلك "ثم" هي أيضاً من حروف العطف وكلتاهما حرف يُفيد الترتيب،ولكن الفارق أن الفاء تعنـــي الترتيب مع التعقيب أي من غير تراخٍ ومضى مدة،مثل قولنا: جاء زيد فعمرو،أي أن عَمْراً جاء من فور مجيء زيدٍ من غير مهلة،ولكن "ثم" تعني طول المسافة الزمنيـــة الفاصلة بين المعطوف والمعطوف عليه،فعندما يقـــول الحق"فَسِـــيرُواْ فِـــي الأرض فانظروا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ المكذبين"النحل: 36،فكأن النظر والتدبر هو المـــراد مـــن السير وبذلك يكون سيرَ الاعتبار،ويقول الحق"قُلْ سِيرُواْ فِي الأرض ثُمَّ انظروا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ المكذبين"يعني أن الإنسان قد يسير في الأرض للتجارة أو الزراعة أو لأي عمل،وعليه أن يتفكر في أثناء ذلك وأن يتأمل إذن فهناك ســـير للاعتبـــار وســـير للمصلحة،والسير للاعتبار يعني أن يأخذ الإنسان العبرة مباشرة أما السير للمصلحة فهو أن يأخذ الإنسان العبرة ضمن المصلحة،وكان سير قريش بقوافلها إلـــى الشـــام واليمن يجعلها قادرة على أن ترى آثار المكذبين سواء من أهل ثمود أو قوم عاد أو غيرهم. وكان عليهم أن يأخذوا العبرة في أثناء سعيهم لتجارتهم(1).

والتَّحْقِيقَ أَنَّهُ سُبْحَانَهُ قَالَ هُنَا"ثُمَّ انْظُرُوا"،وَفِي غَيْرِ مَا مَوْضِعٍ "فَانْظُرُوا" لِأَنَّ الْمَقَامَ هُنَا يَقْتَضِي" ثُمَّ "دُونَهُ فِي هَاتِيكَ الْمَوَاضِعِ، وَذَلِكَ لِتَقَدُّمِ قَوْلِهِ تَعَالَى فِيمَا نَحْنُ فِيهِ"أَلَمْ يَرَوْا

(1)تفسير الشعراوي (3519،3518/6)، مدارك التنزيل وحقائق التأويل أبو البركات عبد الله بـــن أحمد بن محمود حافظ الدين النسفي (ت/710هـــ)،(493/1)،حققه وخرج أحاديثه: يوسف علـــي بديوي، راجعه وقدم له: محيي الدين ديب مستو،دار الكلم الطيب، بيروت،ط1، 1419هـــ ،1998 م

كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ"مَعَ قَوْلِهِ ــ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ــ"وَأَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ"وَالْأَوَّلُ يَدُلُّ عَلَى أَنَّ الْهَالِكِينَ طَوَائِفُ كَثِيرَةٌ وَالثَّانِي يَدُلُّ عَلَى أَنَّ الْمُنْشَأَ بَعْدَهُمْ أَيْضًا كَثِيرُونَ،فَيَكُونُ أَمْرُهُمْ بِالسَّيْرِ دُعَاءً لَهُمْ إِلَى الْعِلْمِ بِذَلِكَ،فَيَكُونُ الْمُرَادُ بِهِ اسْتِقْرَاءَ الْبِلَادِ وَمَنَازِلِ أَهْلِ الْفَسَادِ عَلَى كَثْرَتِهَا لِيَرَوُا الْآثَارَ فِي دِيَارٍ بَعْدَ دِيَارٍ،وَهَذَا مِمَّا يَحْتَاجُ إِلَى زَمَانٍ وَمُدَّةٍ طَوِيلَةٍ تَمْنَعُ مِنَ التَّعَقُّبِ الَّذِي تَقْتَضِيهِ الْفَاءُ،وَلَا كَذَلِكَ فِي الْمَوَاضِعِ الْأُخَرِ(1)،والمعني: يقول تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل يا محمد لهؤلاء المشركين بالله من قومك: سيروا في البلاد،فانظروا إلى مساكن الذين كفروا بالله من قبلكم، وكذّبوا رسلَه، كيف كان آخر أمرهم، وعاقبة تكذيبهم رُسلَ الله وكفرهم،ألم نهلكهم بعذاب منا،ونجعلهم عبرة لمن بعدهم،"كان أكثرهم مشركين"،يقول: فَعَلنا ذلك بهم؛ لأن أكثرهم كانوا مشركين بالله مثلَهم(2)

ويقول صاحب البحر: لَمَّا ذَكَرَ تَعَالَى مَا حَلَّ بِالْمُكَذِّبِينَ الْمُسْتَهْزِئِينَ وَكَانَ الْمُخَاطَبُونَ بِذَلِكَ أُمَّةً أُمِّيَّةً،لَمْ تَدْرُسِ الْكُتُبَ وَلَمْ تُجَالِسِ الْعُلَمَاءَ فَلَهَا أَنْ تُظَافِرَ فِي الْإِخْبَارِ بِهَلَاكِ مَنْ أُهْلِكَ بِذُنُوبِهِمْ أُمِرُوا بِالسَّيْرِ فِي الْأَرْضِ،وَالنَّظَرِ فِيمَا حَلَّ بِالْمُكَذِّبِينَ لِيَعْتَبِرُوا بِذَلِكَ وَتَتَظَافَرَ مَعَ الْإِخْبَارِ الصَّادِقِ الْحِسِّ فَلِلرُّؤْيَةِ مِنْ مَزِيدِ الِاعْتِبَارِ مَا لَا يَكُونُ،وَالظَّاهِرُ أَنَّ السَّيْرَ الْمَأْمُورَ بِهِ،هُوَ الِانْتِقَالُ مِنْ مَكَانٍ إِلَى مَكَانٍ وَأَنَّ النَّظَرَ الْمَأْمُورَ بِهِ،هُوَ نَظَرُ الْعَيْنِ وَأَنَّ الْأَرْضَ هِيَ مَا قَرُبَ مِنْ بِلَادِهِمْ مِنْ دِيَارِ الْهَالِكِينَ بِذُنُوبِهِمْ كَأَرْضِ عَادٍ وَمَدْيَنَ وَمَدَائِنَ قَوْمِ لُوطٍ وَثَمُودَ،وقيل: السَّيْرُ وَالنَّظَرُ هُنَا لَيْسَا حِسِّيَّيْنِ بَلْ هُمَا جَوَلَانِ الْفِكْرِ وَالْعَقْلِ فِي أَحْوَالِ مَنْ مَضَى مِنَ الْأُمَمِ الَّتِي كَذَّبَتْ رُسُلَهَا [3]، وَمِنْ نُكَتِ الْبَلَاغَةِ فِي الْآيَةِ: إِنَّهُ قَالَ فِيهَا"ثُمَّ انْظُرُوا" وَقَدْ وَرَدَ الْأَمْرُ بِالسَّيْرِ فِي الْأَرْضِ وَالْحَثِّ عَلَيْهِ فِي آيَاتٍ أُخْرَى مِنْ عِدَّةِ سُوَرٍ،وَعَطَفَ عَلَيْهِ الْأَمْرَ بِالنَّظَرِ بِالْفَاءِ[4].

---

(1)روح المعاني شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (ت/1270هـ) (98/4) ت/علي عبد الباري عطية،دار الكتب العلمية، بيروت،ط1، 1415هـ، تفسير المنار (269/7)

(2) جامع البيان محمد بن جرير الطبري (ت/310هـ)،(110/20).

(3)البحر المحيط في التفسير أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (ت/ 745هـ)،(4،445،446)ت/صدقي محمد جميل،دار الفكر،بيروت،1420هـ.

(4)تفسير المنار (7/ 269).

يقول الإمام الزَّمَخْشَرِيُّ: فِي الْفَرْقِ جَعَلَ النَّظَرَ مُتَسَبِّبًا عَنِ السَّيْرِ فَكَانَ السَّيْرُ سَبَبًا لِلنَّظَرِ،ثُمَّ قَالَ: فَكَأَنَّهُ قِيلَ: سِيرُوا لِأَجْلِ النَّظَرِ وَلَا تَسِيرُوا سَيْرَ الْغَافِلِينَ،وَهُنَا مَعْنَاهُ إِبَاحَةُ السَّيْرِ فِي الْأَرْضِ لِلتِّجَارَةِ وَغَيْرِهَا مِنَ الْمَنَافِعِ، وَإِيجَابِ النَّظَرِ فِي آثَارِ الْهَالِكِينَ وَنَبَّهَ عَلَى ذَلِكَ بِـ ثُمَّ لِتُبَاعُدِ مَا بَيْنَ الْوَاجِبِ وَالْمُبَاحِ[1]،وقد علق الشيخ ابن المنير على عبارة صاحب الكشاف فقال: وأظهر من هذا التأويل أن يجعل الأمر بالسير في المكانين واحدا،ليكون ذلك سببا في النظر، فحيث دخلت الفاء فلإظهار السببية،وحيث دخلت ثم فللتنبيه على أن النظر هو المقصود من السير، وأن السير وسيلة إليه لا غير وشتان بين المقصود والوسيلة،والذي نرجحه أن التعبير بثم هنا المفيدة للتراخي للإشارة إلى أن السير الذي هو وسيلة للتفكر مطلوب في ذاته كما أن النظر الذي يصحبه التفكر والاعتبار مطلوب أيضا، وكأنه أمر بدهي نتيجة للسير،أما التعبير بالفاء في قوله "فانظروا" فلإبراز كون النظر مسببا عن السير،ومترتبا عليه،وكلا الأسلوبين مناسب للمقام الذي سيق من أجله،ومتناسق مع البلاغة القرآنية[2]، فهذة دعوةٌ إلى السيرِ والنظر للاستبصارِ بالقرون الذاهبة،والاعتبارِ بالأممِ الغابرة،والتأمل في الحضارات الآفلة، ويحملُ لنا التعبير بـ"ثم"ضرورة النظرة المتأنية والتأمل العميق في مصير الأمم البائدة،فأنعِمُوا النظرَ وبالغوا في التفكر وأطيلوا التدبر إذا رأيتم آثار المعذَّبين لأجل تكذيب الرسل،فإنكم إذا شاهدتم تلك الآثار كَمُلَ لكم الاعتبارُ وَقَوِيَ الاستبصارُ،وذلك إشارةٌ إلى أن الأمر في غاية الانكشاف،فكلما طال الفكرُ فيه ازداد ظهوراً[3]، فكلمة "ثم" إما لأن النظر في آثار الهالكين لا يتسنى إلا بعد انتهاء السير إلى أماكنهم،وإما لإبانةِ ما بينهما من التفاوت في مراتب الوجوب وهو الأظهر

(1)الكشاف للزمخشري(8/2)، لسان البيان المهذب لتفسير أبي حيان(796/1) أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي(ت/745هـ)،جمع وترتيب/ العاجز الفقير: عبد الرحمن القماش،البحر المحيط في التفسير(446/4).

(2)التفسير الوسيط لطنطاوي (45/5).

(3) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي (ت/ 885هـ)،(30/7)،دار الكتاب الإسلامي، القاهرة،التفسير الموضوعي لسورة الأنعام أحمد بن محمد الشرقاوى سالم، (ص23،24)،المصدر: الشاملة الذهبية

فإن وجوب السير ليس إلا لكونه وسيلةً إلى النظر[1]،وحيث دخلت الفاء فلإظهار السببية وحيث دخلت"ثم" فللتنبيه على أن النظر هو المقصود من السير،وأن السير وسيلةٌ إليه لا غير وشتان بين المقصود والوسيلة[2]،والظاهر أن السير المأمور به هو الانتقال من مكان إلى مكان وان النظر المأمور به هو نظر العين،وأن الأرض هي ما قرب من بلادهم من ديار المهلكين بذنوبهم كأرض عاد ومدين ومدائن قوم لوط وثمود[3]،وذلك أن النفوس مستشرفة إلى رؤية ما أخبرت به،والنفوس متشوقة إلى المعاينة،وَلِهَذَا قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ"لَيْسَ الْمُخْبَرُ كَالْمُعَايِنِ"[4]، فمُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ لَمَّا أُخْبِرَ أَنَّ قَوْمَهُ عَبَدُوا الْعِجْلَ لَمْ يُلْقِ الْأَلْوَاحَ،فَلَمَّا رَآهُمْ قَدْ عَبَدُوهُ أَلْقَاهَا،وَلَيْسَ ذَلِكَ لِشَكِّ مُوسَى فِي خَبَرِ اللهِ،لَكِنَّ الْمُخْبَرَ، وَإِنْ جَزَمَ بِصِدْقِ الْمُخْبِرِ، فَقَدْ لا يتصور المخبر به نفسه،كما يتصوره إذا عَايَنَهُ[5]،فهذه الآيات الكثيرة حينما تدعو إلى السير والنظر في ديار الأمم السابقة، ليس الغرض منها الدعوة إلى مجرد التنقل والسياحة

(1) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم أبو السعود العمادي محمد بن مصطفى (ت/982هـ)،(3/ 114)،دار إحياء التراث العربي،بيروت،الترقيم موافق للمطبوع،وهو ضمن خدمة مقارنة التفاسير

(2) محاسن التأويل محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم القاسمي(ت/1332هـ)،(321/4)ت/محمد باسل عيون السود،دار الكتب العلميه،بيروت،ط1، 1418هـ، تفسير المنار(267/7).

(3)تفسير النهر الماد من البحر المحيط أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (ت/ 745 هـ)(10/6)، الشاملة الذهبية

(4)المستدرك على الصحيحين للحاكم أبوعبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نعيم بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري المعروف بابن البيع (ت/405 هـ)،(174/4)دار التأصيل،ط1، 1435، 2014،مسند أحمد (ط الميمنية) أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني(ت/241 هـ)،(1/ 215)ت/السيد أبو المعاطي النوري،عالم الكتب،بيروت،ط1، 1419هـ ، 1998 م

(5)شرح الطحاوية صدر الدين محمد بن علاء الدين عليّ بن محمد ابن أبي العز الحنفي، الأذرعي الصالحي الدمشقي (ت/ 792هـ)،(ص 335)ت/جماعة من العلماء، تخريج: ناصر الدين الألباني،دار السلام للطباعة والنشر التوزيع والترجمة، ط1، 1426هـ، 2005م، التفسير الوسيط لطنطاوي(600/1) زاد المسير في علم التفسير(1/ 237)، التوضيح لشرح الجامع الصحيح ابن الملقن سراج الدين أبو حفص عمر بن علي بن أحمد الشافعي المصري (ت/804هـ) (411/19)ت/دار الفلاح للبحث العلمي وتحقيق التراث،دار النوادر،دمشق،سوريا،ط1، 1429هـ 2008

والترويح عن النفس، وإنما القصد هو التأمل وأخذ الدروس والعبر والاتعاظ بسنن الله تعالى في الكون،حتى لا يقع اللاحقون فيما وقع فيه السابقون،والسعيد من اتعظ بغيره وتعلم من أخطاء الآخرين، كما قال تعالى"وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هُمْ أَشَدُّ مِنْهُم بَطْشًا فَنَقَّبُوا فِي الْبِلاَدِ هَلْ مِن مَّحِيصٍ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ"ق 36،37[1]

فيستفاد من كل هذة الآيات الكريمات أن السيْر فى الأرض، واستنطاق آثار السالفين حقيقة قرآنية ثابتة؛ وأن تحريم رؤيتها، والدعوة إلى هدمها يفقد هذه الحقيقة قيمتها لا سيما أن النظر فى آثار السالفين أقوى من أثر السماع"فلا يمتنع أن يقال إن لمشاهدة آثار المتقدمين أثرا أقوى من أثر السماع(2)،فالقرآن يوجه إلى أهمية التعلم من عواقب الأمم السابقة التي كذبت رسلها، ويشير إلى أن هذه الأمم واجهت عقوبات شديدة نتيجة إنكارها للحقائق ورفضها للرسالات، ويُبرز ضرورة الاعتبار بهذه الدروس لتجنب المسار نفسه، والتأكيد على أهمية الإيمان بالرسل والحقائق التي يحملونها،فالاعتبار من ماضي الأمم يُعد ضرورة للحفاظ على الإيمان والابتعاد عن الكفر،حيث إن التأمل في آثار الهالكين يعزز الفهم ويُعمق الإيمان.

المطلب الثاني:زيارة المعالم الأثرية في الإسلام:رؤية وعناية: تحدث القرآن الكريم في آيات عديدة عن آثار الحضارات القديمة،وكيف أن هذه الحضارات قد بلغت الغاية في الرفعة والازدهار،وأنها قد أخذت زخرفها وازينت،ولما انحرفت عن منهج الله تعالى أتاها أمر الله تعالي فصارت حصيداً كأن لم تغن بالأمس وظلت بقاياها وبعض معالمها أطلالاً تنطق بما أصاب أصحابها من دمار وبوار،كل هذا يثير الشجن ويدعو إلى أخذ العظة والعبرة مما حل بهم،والمقصود المعالم الأثرية هنا

(1) منهج القرآن الكريم في دعوة المشركين إلى الإسلام د/حمود بن أحمد بن فرج الرحيلي،(499/1)،الناشر: عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية،المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية،ط1، 1424هـ/2004م

(2)التفسير الوسيط لطنطاوي (2/ 269)

الآثار المكانية ونحوها،والاصل أنه لا يجوز تعظيم مكان لم يعظمه الشرع،كما أن هذا التعظيم يجب أن يكون على وفق الشرع أيضاً،وما جاوز ذلك من التعظيم والتبرك بالأماكن فممنوع،ولنعلم أن دائرة الاهتمام أوسع من دائرة التعظيم،فمن أهم المقدمات في التعامل مع الآثار من الناحية الشرعية التفريق بين دائرة الاهتمام ودائرة التعظيم،فليس كل اهتمام يلزم منه التعظيم، حيث إن دائرة الاهتمام أوسع من دائرة التعظيم، فالتعظيم دائرته أضيق ومتوقف علي أمر الشارع،وتعظيم ما لم يعظمه الشارع يعتبر من البدع القلبية كاعتقاد الفضيلة في هذا المكان أو قبول الدعاء عند هذا الأثر،وأما الاهتمام فليس كذلك،فقد يجمع الانسان القطع الأثرية ويهتم بها كإهتمامه بمقتنياته العامة،ولا يلزم من ذلك أن يعظمها أو يعطيها شيئاً من التعظيم والقداسة أكثر من كونها قطعاً ثمينة،وعند تنزيل ذلك علي الآثار،ينظر هل هذه الآثار تحمل ميزة أكثر من كونها ميزة تاريخية زمنية ؟أو يضفي عليها شيئاً من القداسة والتعظيم خارجاً عن كونها تاريخاً،وعلى هذا يدور الحكم، فكل ما خلفه الأولون كالقلاع والحصون والقصور والدروب والمدارس وغيرها،سواء كانت تلك الآثار منقولة كالمخطوطات وآلات السلم والحرب،ويستثني من ذلك ما جاء الشرع بإتلافه كالأوثان وغيرها فهذا يجوز الاهتمام به سواءً بالمحافظة عليه أو ترميمه ولكن بشرط الأ يصل الى درجة التعظيم،فإن وصل الاهتمام بهذه الآثار إلى درجة التعظيم والغلو فيخرج الحكم من الإباحة إلي التحريم،وحكم التحريم ليس راجعاً إلي أصل الحكم ولكن لهذه الإضافة التي هي الغلو والتعظيم[1]،وقد عاش المسلمون دهوراً وهم غافلون عن هذه الآثار القديمة لا يعيرونها التفاتاً،ولا يتحدثون عنها حين يتحدثون إلا كما يتحدثون عن قوم غرباء من الكفرة أو العتاة،لا يثير الحديث عنهم شيئاً من الحماس أو الزهو في نفوسهم[2]،والمسلم حين يدرس الآثار تنطلق دراسته من العقيدة

(1)أحكام الآثارفي الشريعة الاسلامية دراسة عقدية، دخالد بن عبدالعزيز السيف (ص154).

(2) مجلة البيان تصدر عن المنتدى الإسلامي،(6/162)(238 العدد)،(رقم الجزء، هو رقم العدد. ورقم الصفحة، هي الصفحة التي يبدأ عندها المقال في العدد المطبوع)،تنبيه: الأعداد بعد الـ 200 ترقيمها غير موافق للمطبوع

الإسلامية،فيرى الفارق الكبير بين آثار الفكر الوثني وآثار الفكر الإسلامي بخلاف غير المسلم فهو يركز على الجانب المادي بعيداً عن تحقيق أي من القيم الإيمانية،إضافة إلى أن نظرة العبرة لها وجودها الحاضر في نظرة المسلم للآثار،لا سيما آثار الأقوام الذين وقع عليهم عذاب الله عز وجل بسبب ضلالهم ومعصيتهم[1].

واللَّهَ سُبْحَانَهُ أَبْقَى فِي الْعَالَمِ الْآثَارَ الدَّالَّةَ عَلَى مَا فَعَلَهُ بِأَنْبِيَائِهِ وَالْمُؤْمِنِينَ مِنَ الْكَرَامَةِ،وَمَا فعله بمكذبيهم من العقوبة كثبوت الطُّوفَانِ، وَإِغْرَاقِ فِرْعَوْنَ،وَجُنُودِهِ،وَنَحْنُ الْيَوْمَ إِذَا عَلِمْنَا بِالتَّوَاتُرِ مِنْ أَحْوَالِ الْأَنْبِيَاءِ وَأَوْلِيَائِهِمْ وَأَعْدَائِهِمْ عَلِمْنَا يَقِينًا أَنَّهُمْ كَانُوا صَادِقِينَ عَلَى الْحَقِّ مِنْ وُجُوهٍ مُتَعَدِّدَةٍ: مِنْهَا: أَنَّهُمْ أَخْبَرُوا الْأُمَمَ بِمَا سَيَكُونُ مِن انْتِصَارِهِمْ وَخِذْلَانِ أُولَئِكَ وَبَقَاءِ الْعَاقِبَةِ لَهُمْ،وَمِنْهَا: مَا أَحْدَثَهُ اللَّهُ لَهُمْ مِنْ نَصْرِهِمْ وَإِهْلَاكِ عَدُوِّهِمْ،إذَا عُرِفَ الْوَجْهُ الَّذِي حَصَلَ عَلَيْهِ، كَغَرَقِ فِرْعَوْنَ وَغَرَقِ قَوْمِ نُوحٍ وَبَقِيَّةِ أَحْوَالِهِمْ،عُرِفَ صِدْقُ الرُّسُلِ،وَمِنْهَا:أَنَّ مَنْ عَرَفَ مَا جَاءَتْ بِهِ الرُّسُلُ مِنَ الشَّرَائِعِ وَتَفَاصِيلِ أَحْوَالِهَا، تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُمْ أعلم الخلق،وأنه لَا يَحْصُلُ مِثْلُ ذَلِكَ مِنْ كَذَّابٍ جَاهِلٍ[2]، وكما أَنَّ الصَّحَابَةَ رضوان الله عليهم أَوْ التَّابِعِينَ حِينَ فَتَحُوا الْمَدِينَةَ عَلِمُوا بِهَا وَأَبْقَوهَا(3)،وقد ورد أن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه لما فتح المدائن أمر الناس بإيوان كسرى فجُعل مسجداً للأعياد،ونصب فيه منبراً وصلي وجمع الناس فيه،ولم يُغير ما فيه من تماثيل،وفي هذا يقول ابن الأثير: وَاتَّخَذَ سَعْدٌ

---

(1)أحكام الآثار في الفقة الاسلامي،د/عبدالله بن أحمد بن عامر الرميح،(ص35)،رسالة دكتوراة ـــ جامعة القصيم، العام الجامعي 1431هـ ـــ 1432هـ، إشراف/ا.د/صالح بن عبد الله اللاحم

(2) شرح الطحاوية صدر الدين محمد بن علاء الدين عليّ بن محمد ابن أبي العز الحنفي، الأذرعي الصالحي الدمشقي (ت/792هـ)،(156/1)ت/جماعة من العلماء،تخريج: ناصر الدين الألباني،ط دار السلام للطباعة والنشر والترجمة (عن مطبوعة المكتب الإسلامي)،ط1المصرية، 1426هـ، 2005م

(3) فتح القدير للكمال ابن الهمام كمال الدين محمد بن عبد الواحد السيواسي المعروف بابن الهمام (ت/861هـ)، (59/6) دار الفكر،الطبعة: بدون طبعة وبدون تاريخ، البحر الرائق شرح كنز الدقائق ومنحة الخالق وتكملة الطوري زين الدين بن إبراهيم بن محمد، المعروف بابن نجيم المصري (ت/970هـ)،(122/5)،وفي آخره: تكملة البحر الرائق لمحمد بن حسين بن علي الطوري الحنفي القادري (ت بعد1138هـ)،وبالحاشية: منحة الخالق لابن عابدين،دار الكتاب الإسلامي،ط2 – بدون تاريخ

إِيوَانَ كِسْرَى مُصَلًّى وَلَمْ يُغَيِّرْ مَا فِيهِ مِنَ التَّمَاثِيلِ (1)،وبالإضافة إلى أن العديد من آيات القرآن الكريم لها موقف إيجابي من الآثار،حيث تحثنا على التمعن فيها وأخذ العبرة من مصير أصحابها،كما ورد في الآيات"فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ"النحل 36،وقوله" أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ "يوسف 109،وقوله"أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً وَآثَارًا فِي الْأَرْضِ "غافر82،وقوله"فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوا"النمل 52،وكما لقيت الآثار الاهتمام من بعض المؤرخين المسلمين القدامى، لكنهم لم يتعدوا وصفها وقراءة كتاباتها، وكانوا ينسبونها أحيانا إلى الجن أو إلى سليمان،وهذا يدل على استمرار النظرة الدينية للآثار في المراحل التاريخية الأولى القريبة من ظهور الإسلام،وهناك من دعا إلى حفظ الآثار والاهتمام بها كجزء من تراث الأمة، كابن خلدون وعبد اللطيف البغدادي،واهتم ابن فضل الله العمري بآثار مصر،وألف كتباً تتحدث عن عجائبها،وخاصة الأهرامات،كما ألف الهمذاني كتبا عن آثار اليمن،واهتم الأرزقي بآثار مكة المكرمة،وألف حمزة الأصبهاني كتبا عن آثار فارس،ومن المؤرخين الذين اهتموا بالآثار نجد ابن عساكر،وابن العديم، وابن شداد،والمقريزي،ومن والجغرافيين نذكر المقدسي، وابن رسته،والإدريسي(2)، كل هذا يعكس أهمية الآثار في الثقافة الإسلامية كوسيلة للتعلم والتأمل، ويبرز الفارق بين النظرة الإسلامية وغير الإسلامية لها،فتنطلق دراسة المسلم للآثار من عقيدته الإسلامية، حيث يراها كدليل على صدق الأنبياء وعقوبة المكذبين، بينما يركز غير المسلم على الجوانب المادية فقط، مما يعكس النظرة الإسلامية للآثار كجزء من التاريخ والتراث.

(1)الكامل في التاريخ أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري، عز الدين ابن الأثير (ت/630هـ) (341/2)،ت/ عمر عبد السلام تدمري،دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان،ط1، 1417هـ / 1997م

(2)التعامل مع الآثار في الحضارات القديمة والحضارة الإسلامي دراسة أنموذجية، جامعة محمد بوضياف بالمسيلة،(ص258)،المجلةالتاريخية الجزائرية، ج5،عدد 2 2021م nadir.kouadria@univ-msila.dz

يقول ابن رسته: فمن عجائب البلدان الهرمان بمصر، سمك كلّ واحد منهما أربعمائة ذراع مكتوب عليهما بالمسند كلّ سحر وكلّ عجب من الطبّ، ومكتوب عليهما أنى بنيتهما فمن ادّعى قوّة في ملكه فليهدمهما فإن الهدم أيسر من البناء فقدّروا ذلك فإذا خراج الدنيا لا يقوم بهدمهما[1]،والكشف عن تاريخ مصر لهو أروع فصل في كتاب علم الآثار،ولقد كان كل ما تعرفه العصور الوسطى عن مصر أنها مستعمرة رومانية[2]،وقد ذهبت دار الإفتاء المصرية والأردنية إلى إباحة التنقيب عن الآثار وتتبعها [3]

وقد سادت حضارات كثيرة ثم بادت،ومن تلك الأمم من أرسل إليهم الرسل لدعوتهم إلى الإيمان وعبادة الله وحده لا شريك له، ولكنهم كذبوا وعصوا رسلهم، فأخذهم الله بعذابه جزاء تكذيبهم وشركهم مع الله غيره،ومن تلك الأمم من بقي لها آثار من مبانٍ وأسواق ومقتنيات ومعابد وغيرها،مثل آثار ثمود "مدائن صالح"،وآثار مدين "مدائن شعيب"، والآثار الفرعونية "الأهرامات والأقصر وغيره، فإذا كانت زيارة تلك الأماكن بقصد الاعتبار والعظة مع تذكر ما حل بمن عصى الله وخالف أمره مع ذكر الله والاستغفار،فلا بأس بزيارتها والنظر فيما آل إليه المكذبون ممّن كفر بالله وأشرك معه غيره،فلا بأس بزيارتها إذا كان القصد الاعتبار،ولم يكن القصد التعظيم أو التبرك،فإذا وصل إلى بلد فيها شيء من الآثار القديمة جاز له الوقوف عليها؛ لعموم قوله"أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ"غافر 82،وأما

(1)الأعلاق النفيسة أبو علي أحمد بن عمر ابن رسته (ت300هـ)،(78/1)،ط1،1892، المجلد السابع، المصدر: الشاملة الذهبية،(كان حيا 290 هـ) (1903 م) احمد بن عمر بن رسته (ابو علي) جغرافي من تصانيفه: الاعلاق النفيسة في تقويم البلدان،انظر: معجم المؤلفين عمر رضا كحالة(2/ 31)، الناشر: مكتبة المثنى – بيروت، دار إحياء التراث العربي بيروت.

(2) قصة الحضارة ول ديورَانت = ويليام جيمس ديورَانت(ت/1981 م) (61/2)، تقديم:الدكتور محيي الدّين صَابر،ترجمة: الدكتور زكي نجيب محمُود وآخرين، دار الجيل، بيروت ، لبنان، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس،عام النشر: 1408هـ – 1988م

(3)دار الإفتاء المصرية، حكم بيع الآثار، رقم الفتوي 8235(موقع إلكتروني)،اسلام ويب، حكم استخراج الآثار القديمة، رقم الفتوي67725،(موقع إلكتروني)،دار الإفتاء الأردنية، حكم التنقيب عن الآثار، رقم الفتوي،1877،(موقع إلكتروني)، حماية الآثار في الفقه الإسلامي/ أحمد خالد نوفل(ص24).

إذا كانت الآثار لأمم وحضارات لم يذكر أنه أرسل إليهم رسل وأنهم كفروا بالله ،فلا مانع من زيارتها مع قصد الفائدة والاعتبار بحال الأمم التي كانت ثم ذهبت،وأن الدنيا دار ممر لا دار مقر فيزيده ذلك إيماناً وإقبالًا على الأعمال الصالحة والله أعلم[1].

وأقول: إن بعض الناس يتشددون في المنع عن رؤية أثار هؤلاء الأقوام والذي يبدو لي- والله أعلم- أن رسولنا عليه الصلاة والسلام منع من النظرة التي لا يرافقها اعتبار كيف وإن معرفة هذه الآثار والكلام عنها- خاصة في عصرنا- فيه معنى التصديق لكتاب الله أمام المشككين الذين لم يتركوا شيئا إلا شككوا فيه[2]،إن بقاء الآثار والمحافظة عليها دليل واقعي مشاهد محسوس على ما يحكيه القرآن الكريم عن قوة السابقين وعددهم،فَيَتَدَبَّرُوا ذَلِكَ بِنَظَرِهِمْ إِلَى مَسَاكِنِهِمْ وَدُورِهِمْ،وَبِمَا سَمِعُوا عَلَى التَّوَاتُرِ بِمَا حَلَّ بِهِمْ،أَفَلَيْسَ فِيهِ عِبْرَةٌ وَبَيَانٌ لَهُمْ، لَيْسُوا خَيْرًا مِنْ أُولَئِكَ وَلَا أَقْوَى، بَلْ كَانَ أُولَئِكَ أَقْوَى[3]، فالآثار حكمة من الله -تعالى- ليبين للناس كيف فعل بمن عصى من الأمم الماضية،والموعظة والتذكر أمران مهمان ومطلوبان من كل من مارٍّ بتلك الآثار ولا سيما من المؤمنين ليعتبروا ويتعظوا[4]، ومما يدل على تعظيم الآثار في الإسلام أن عقوبة تهريبها في الفقه الإسلامي تمثل تهريباً لأهم مكونات الهوية الوطنية كونها نمت في أحشاء التاريخ، وكما تُعد هذه الجريمة من أكثر الجرائم خطورة وضرراً علي التراث الوطني لأي دولة ذات حضارة عريقة نظراً

(1)الفقه الميسر أ.د/عَبد الله بن محمد الطيّار،أ.د/عبد الله بن محمّد المطلق،د/محمَّد بن إبراهيم الموسَى،
(13/ 133) مَدَارُ الوَطن للنَّشر، الرياض،السعودية،جـ 7 و11، 13: 1432/ 2011،باقي الأجزاء: الثانية،1433هـ، 2012 م
(2)الأساس في التفسير سعيد حوّى (ت/1409هـ)،(1942/4)،دار السلام، القاهرة،ط6، 1424 هـ
(3)تفسير القرطبي (361/14)
(4) مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة (293/41)،المؤلف:الجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية،الناشر: موقع الجامعة على الإنترنت،عدد الأجزاء: 120 عددًا،أعده للشاملة: أسامة بن الزهراء

لما تُحدثه هذه الجريمة من افتقار لهذا التراث،فتهريب الآثار لون من ألوان الاعتداء علي الملك العام اقتضى ذلك أن يعاقب عليه التشريع أشّد العقوبات حماية وحفظاً له من أيدي المفسدين والمعتدين،فقد قرر الإسلام نظاماً عقابياً رادعاً يدخل في باب العقوبات التعزيرية [1]، ويبرز لنا من خلال نشاط علماء الآثار أن الشرق الأوسط يشكل وحدة حضارية ودينية يتسع مداها مع التاريخ،ويقوي تفاعلها الديني بين شعوبه،ويعتبر هذا الإرث الروحي يفوق هذه التقدمات المادية خطورة وأهمية وإن بدا ذا مظاهر وثنية فهو ينبئ عن عراقة الجانب الديني والعقدي في الإنسان وقوته في البناء الحضاري وتوجيهه[2]، وما زالت الملوك تُراعي بقاء هذه الآثار وتمنع من العبث فيها والعبث بها وأن كانوا أعداء لأربابها،وكانوا يفعلون ذلك لمصالح لكي تبقى تاريخا يتنبه بها على الأحقاب،ولتكون شاهدة للكتب المنزلة فإن القرآن العظيم ذكرها وذكر أهلها ففي رؤيتها خبر الخبر وتصديق الأثر، ومنها أنها مذكرة بالصبر ومنبهة على الملل،ومنها أنها تدل على شيء من أحوال من سلف وسيرتهم وتوافر علومهم وصفاء فكرهم وغير ذلك وهذا كله مما تشتاق النفس إلى معرفته وتُؤثِر الاطِّلاع عليه[3]،فالآثار التي يخشي علي عقائد المسلمين منها بتقديسها وتعظيمها من دون الله تعالي،فلا يجوز المحافظة عليها،وفي هذا حماية لجناب التوحيد،ووردت دلائل كثيرة تؤيد هذا المعني ،فقد بلغ عمر رضي الله عنه أن قوما يذهبون إلى

(1)الحماية الجنائية للآثار دراسة مقارنة، أمين أحمد الحذيفي،(ص373)، دار النهضة العربية ،القاهرة، د.ط،2007م، حماية الآثار في الفقه الإسلامي/ أحمد خالد نوفل (ص98،84).

(2) تاريخ الفكر الديني الجاهلي محمد إبراهيم الفيومي (ت/ 1427هـ)،(35/1)،دار الفكر العربي، ط4، 1415هـ،1994م

(3)الإفادة والاعتبار في الأمور المشاهدة والحوادث المعاينة بأرض مصر عبد اللطيف بن يوسف بن محمد بن علي البغدادي، موفق الدين، ويعرف بابن اللباد، وبابن نقطة (ت/629هـ)،(34/1)،الناشر: مطبعة وادي النيل،ط1، 1286هـ، تنزيه الأبصار والأفكار في رحلة سلطان زنجار زاهر بن سعيد،(269/1)ت/أحمد الشتيوي،الناشر: وزارة التراث والثقافة سلطنة عمان،تاريخ النشر: 1428هـ.

الشجرة التي بايع النبي صلى الله عليه وسلّم أصحابه تحتها فأمر بقطعها،لأن النـــاس كانوا يذهبون إلى الشجرة فيصلون تحتها فخاف عليهم الفتنة [1].

يقول صاحب تفسير المنار: الْأَصْنَامُ مَا يُصْنَعُ مِنَ الْخَشَبِ أَوِ الْحَجَرِ أَوِ الْمَعْدِنِ مِثَالًا لِشَيْءٍ حَقِيقِيٍّ أَوْ خَيَالِيٍّ أَوْ مُذَكِّرًا بِهِ لِيُعَظَّمَ تَعْظِيمَ الْعِبَادَةِ،وَاتَّخَذَ بَعْضُ الْعَــرَبِ فِــي الْجَاهِلِيَّةِ صَنَمًا مِنْ عَجْوَةِ التَّمْرِ فَعَبَدُوهُ ثُمَّ جَاعُوا فَأَكَلُوهُ،وَالْفَرْقُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ التِّمْثَالِ: أَنَّ هَذَا لَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ مِثَالًا لِشَيْءٍ،وَأَنَّهُ قَدْ يَكُونُ لِلْعِبَادَةِ،وَحِينَئِذٍ يُسَمَّى صَنَمًا،وَقَدْ يَكُــونُ لِلزِّينَةِ كَالَّذِي نَرَاهُ عَلَى جُدْرَانِ بَعْضِ الْقُصُورِ الْمُشَيَّدَةِ أَوْ أَبْوَابِهَا أَوْ فِي حَدَائِقِهَا،وَقَدْ يَكُونُ لِلتَّعْظِيمِ وَالتَّكْرِيمِ غَيْرِ الدِّينِيِّ كَالتَّمَاثِيلِ الَّتِي تُنْصَبُ لِبَعْضِ الْمُلُوكِ،وَكِبَارِ عُلَمَاءِ الدُّنْيَا أَوِ الْقُوَّادِ وَالزُّعَمَاءِ؛ لِلتَّذْكِيرِ بِتَارِيخِهِمْ وَأَعْمَالِهِمْ لِلِاقْتِدَاءِ بِهِمْ،وَيَكْثُرُ هَذَا فِي بِلَادِ الْإِفْرِنْجِ،وَقَلَّدَهُمْ بَعْضُ بِلَادِ الشَّرْقِ كَمِصْرَ ،فَنَصَبَتْ حُكُومَتُهَا تَمَاثِيلَ لِبَعْضِ أُمَرَاءِ بَيْتِ الْمَلِكِ الْحَاضِرِ،وَغَيْرِهِمْ مِنْ رِجَالِهِمْ،وَالْفَرْقُ بَيْنَ هَذَا التَّعْظِيمِ السِّيَاسِيِّ أَوِ الْعِلْمِيِّ،وَبَيْنَ تَعْظِيمِ الْعِبَادَةِ: أَنَّ الْغَرَضَ مِنَ الْأَوَّلِ إِمَّا رِفْعَةُ شَأْنِ الدَّوْلَةِ،وَتَمْكِينُ سُلْطَانِهَا عَلَى أَنْفُسِ الْأُمَّةِ بِمُشَاهِدَةِ صُوَرِ مُلُوكِهَا،وَكُبَرَاءِ رِجَالِهَا وَتَمَاثِيلِهِمْ،وَهُوَ قَصْدٌ سِيَاسِيٌّ صَحِيحٌ عِنْدَ أَهْلِهِ،وَإِمَّا بَعْثُ شُعُورِ حُبِّ الْعِلْمِ،وَالِاقْتِدَاءِ بِالْعُلَمَاءِ وَالْأُدَبَاءِ وَالزُّعَمَاءِ الَّــذِينَ نَفَعُــوا أُمَّتَهُمْ، عَسَى أَنْ يُوجَدَ فِي الْمُسْتَعِدِّينَ مَنْ يَكُونُ مِثْلَهُمْ أَوْ خَيْــرًا مِنْهُمْ،وَهُــوَ قَصْــدٌ اجْتِمَاعِيٌّ صَحِيحٌ عِنْدَ عُلَمَاءِ التَّرْبِيَةِ،وَأَمَّا تَعْظِيمُ الْعِبَادَةِ فَالْغَرَضُ مِنْهُ التَّقَــرُّبُ مِــنَ الْمَعْبُودِ،وَطَلَبُ ثَوَابِهِ بِدَفْعِ ضَرَرٍ أَوْ جَلْبِ مَنْفَعَةٍ مِنْ طَرِيقِ الْغَيْبِ لَا الْكَسْبِ،وَالتَّعَاوُنُ عَلَيْهِ مِنْ طَرِيقِ الْأَسْبَابِ الْعَامَّةِ،فَتَعْظِيمُ الشَّيْءِ الَّذِي يُعْتَقَدُ أَنَّ لَــهُ سُــلْطَةً غَيْبِيَّــةً أَوْ تَعْظِيمُ مَا يُذْكَرُ بِهِ مِنْ صُورَةٍ أَوْ تِمْثَالٍ أَوْ قَبْرٍ أَوْ ثَوْبٍ أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ آثَارِهِ؛ لِأَجْلِ التَّقَرُّبِ إِلَيْهِ،وَقَصْدِ الِانْتِفَاعِ بِهِ فِي الْأُمُورِ الَّتِي لَا تُنَالُ بِالْأَسْبَابِ الْعَامَّةِ ،وَهِيَ مَــا لَــا يُطْلَبُ إِلَّا مِنَ اللهِ تَعَالَى،أَوْ لِأَجْلِ التَّقَرُّبِ إِلَى اللهِ بِجَاهِهِ– كُلُّ ذَلِكَ عِبَادَةٌ ظَاهِرَةٌ،فَــإِنْ قَصَدَ الْمُعَظِّمُ لِذَلِكَ الشَّيْءِ،أَوْ لِمَا يَذْكُرُ بِهِ الِانْتِفَاعَ بِهِ نَفْسِهِ بِمَا ذَكَرَ مِنَ التَّعْظِيمِ بِالْقَوْلِ

(1)زاد المسير في علم التفسير جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمــد الجــوزي (ت/597هــ) (4/ 133)ت/عبد الرزاق المهدي،دار الكتاب العربي، بيــروت،ط1، 1422هـــ، تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن (27/ 284)

كَالدُّعَاءِ وَالاسْتِغَاثَةِ أَوْ بِالْفِعْلِ كَالطَّوَافِ بِتِمْثَالِهِ أَوْ قَبْرِهِ،وَتَقْبِيلِهِ وَالتَّمَرُّغِ بِأَرْضِهِ – كَانَتِ الْعِبَادَةُ خَالِصَةً لَهُ مِنْ دُونِ اللهِ،وَإِنْ قَصَدَ التَّقَرُّبَ بِهِ إِلَى اللهِ لِيَحْمِلَهُ بِجَاهِهِ عَلَى إِعْطَائِهِ مَا يُرِيدُ كَانَتِ الْعِبَادَةُ لَهُ،وَلِلَّهِ تَعَالَى بِالاشْتِرَاكِ،وَهَذَا مِنْ مَظَاهِرِ الشِّرْكِ الْجَلِيِّ الَّتِي لَا يُخْرِجُهَا تَغْيِيرُ التَّسْمِيَةِ عَنْ كَوْنِهَا كُفْرًا أَوْ شِرْكًا[1]، فموقف الإسلام واضح من الآثار،وهنا يجب التفريق بين نوعين من الآثار.

النوع الأول: هي الآثار الدينية التي تدعو إلى الشرك بالله كالأصنام والأوثان،والأصل فيها التحريم حيث يتم تهديمها وإزالتها،وليس أدل على موقف الإسلام من الأصنام التي كانت تعبدها قريش،من قيام الرسول صلي الله عليه وسلم يوم فتح مكة لما دخل المسجد ووجد الأصنام منصوبة حول الكعبة فجعل يطعن بقوسه في عيونها ووجوهها ويقول"جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا"وقد جاء عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ قَالَ: دَخَلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَكَّةَ عَامَ الْفَتْحِ وَحَوْلَ الْكَعْبَةِ ثَلَاثُمِائَةٍ وَسِتُّونَ نُصُبًا،فَجَعَلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَطْعَنُهَا بِمِخْصَرَةٍ فِي يَدِهِ– وَرُبَّمَا قَالَ بِعُودٍ– وَيَقُولُ"جاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْباطِلُ إِنَّ الْباطِلَ كانَ زَهُوقاً،وَأَنَّهُ كُلَّمَا طَعَنَ مِنْهَا صَنَمًا فِي وَجْهِهِ خَرَّ لِقَفَاهُ،أَوْ فِي قَفَاهُ خَرَّ لِوَجْهِهِ،فَمَا بَقِيَ مِنْهَا صَنَمٌ إِلَّا خَرَّ لِوَجْهِهِ،ثُمَّ أَمَرَ بِهَا فَكُسِرَتْ،وفِي الْآيَةِ دَلِيلٌ عَلَى كَسْرِ نُصُبِ الْمُشْرِكِينَ وَجَمِيعِ الأوثان إذا غلب عليهم[2]،وبقيَ صنمُ خُزاعةَ فوق الكعبة وكان من صُفْر فقال يا عليُّ ارمِ به فصعِد فرمى به فكسره[3]،وأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم جرير بن عبد الله لهدم ذِي الْخَلَصَةِ[4]، فالتماثيل معروفة،والموقف منها

---

(1) تفسير المنار(92/9)

(2)تفسير القرطبي(314/10)، صحيح البخاري(136/3)، سنن الترمذي محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى (ت/ 279هـ)،(154/5)ت/ وتعليق:أحمد محمد شاكر(جـ 1، 2)،ومحمد فؤاد عبد الباقي (جـ 3)،وإبراهيم عطوة عوض المدرس في الأزهر الشريف(جـ 4، 5)،الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر،ط2، 1395 هـ،/ 1975 م،دار الفكر،عبد الوهاب عبد اللطيف،دار الفكر للطباعة والنشر

(3)تفسير أبي السعود(191/5)

(4)المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (ت/261ه)،(1926/4)، الجامع المسند الصحيح =

واضح منذ زمن إبراهيم عليه السلام حينما كسَّرها ونهي عن عبادتها،وهذا يردُّ قول مَنْ قال بأن التماثيل كانت حلالاً،ثم فُتِن الناس فيها،فعبدوها من دون الله فَحرِّمت[1]، فَلَا يَجُوزُ إِبْقَاءُ مَوَاضِعِ الشِّرْكِ وَالطَّوَاغِيتِ بَعْدَ الْقُدْرَةِ عَلَى هَدْمِهَا وَإِبْطَالِهَا يَوْمًا وَاحِدًا،فَإِنَّهَا شَعَائِرُ الْكُفْرِ وَالشِّرْكِ،وَهِيَ أَعْظَمُ الْمُنْكَرَاتِ،فَلَا يَجُوزُ الْإِقْرَارُ عَلَيْهَا مَعَ الْقُدْرَةِ الْبَتَّةَ،وَهَذَا حُكْمُ الْمَشَاهِدِ الَّتِي بُنِيَتْ عَلَى الْقُبُورِ الَّتِي اتُّخِذَتْ أَوْثَانًا وَطَوَاغِيتَ تُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ[2].

وتكسير النبي صلى الله عليه وسلم لهذا الأصنام لكونها تعبد وتعظم من دون الله والقوم حديثو عهد بذلك،فإن زالت علة الحكم زال الحكم،فالناس في ذلك العصر كانوا حديثي عهد بجاهلية عبادة الأصنام،وإمكانية تأثرهم بهذة الآثار والافتتان بها متحققة،فكان من الأفضل سدّ الذريعة المفضية إلى الشرك بإخفاء مثل هذة الآثار،أما وقد تبدل الحال،وصارت من الصعوبة بمكان أن يَعبد الإنسان حجراً أو صنماً، فضلاً عن بروز أهمية هذه الآثار الحضارية والتاريخية والعلمية والاقتصادية أدى ذلك كله إلي تقليل نسبة إمكانية افتتان الناس بهذة الآثار،وبالتالي يبقي الحكم على الإباحة،ولا داعي للتضييق بمبدأ سد الذرائع [3]

والنوع الثاني: هو آثار الديانات السماوية كالكنائس المسيحية والمعابد اليهودية،وحتى آثار المعابد الدينية التي فقدت قدسيتها بين الناس، حيث لم تذكر المصادر التاريخية إساءة المسلمين لها والدليل العملي على ذلك أن العديد من الكنائس المسيحية والمعابد اليهودية، والمعالم التاريخية للحضارات السابقة،في البلدان الإسلامية وصلت إلينا اليوم على الرغم من مرور أكثر من أربعة عشر قرنا على

المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه = صحيح البخاري محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي(165/5) ت/ محمد زهير بن ناصر الناصر،دار طوق النجاة(مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)،ط1،1422هـ

(1)تفسير الشعراوي(9614/15)

(2)زاد المعاد في هدي خير العباد محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (ت/751هـ)،(443/3) مؤسسة الرسالة،بيروت،مكتبة المنار الإسلامية،الكويت،ط27، 1415هـ /1994م

(3)حماية الآثار في الفقه الإسلامي/ أحمد خالد نوفل (ص25،27).

ظهور الإسلام،ولِأَنَّ الصَّحَابَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، فَتَحُوا كَثِيرًا مِنْ الْبِلَادِ عَنْوَةً،فَلَمْ يَهْدِمُوا شَيْئًا مِنْ الْكَنَائِسِ وَيَشْهَدُ لِصِحَّةِ هَذَا،وُجُودُ الْكَنَائِسِ وَالْبِيَعِ فِي الْبِلَادِ الَّتِي فُتِحَتْ عَنْوَةً، وَمَعْلُومٌ أَنَّهَا مَا أَحْدَثَتْ،فَيَلْزَمُ أَنْ تَكُونَ مَوْجُودَةً فَأُبْقِيَتْ،وَقَدْ كَتَبَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إلَى عُمَّالِهِ،أَنْ لَا يَهْدِمُوا بِيعَةً وَلَا كَنِيسَةً وَلَا بَيْتَ نَارٍ،وَلِأَنَّ الْإِجْمَاعَ قَدْ حَصَلَ عَلَى ذَلِكَ،فَإِنَّهَا مَوْجُودَةٌ فِي بِلَادِ الْمُسْلِمِينَ مِنْ غَيْرِ نَكِيرٍ[1]، وكما في فتح مصر أيام عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وفيها من آثار الفراعنة من التماثيل وغيرها ما هو معروف،ومع ذلك لم يهدموها، لكن إن كانت تمثل خطراً على العقيدة كأن تفتن الناس عن التوحيد فهنا يجب إزالتها حفاظاً علي التوحيد[2]

ولا بد من التفرقة بين الآثار بصفة عامة وبين المقدسات الإسلامية،فإذا كانت قيمة الآثار راجعة إلي الزمن بحيث تزداد أهميتها مع تراكم الزمن وتباعدالتاريخ،فإن المقدسات الإسلامية ليست كذلك بل فضيلتها راجعة إلى الأمر الألهى بتعظيمها،كمن يذكر الكعبة وما يلحق بها كالحِجر،ومقام إبراهيم،والحجر الأسود،ومشاعر الحج كعرفه ومني ومزدلفة،وهي من المقدسات الإسلامية وأنها لم تستمد قيمتها من الزمن بل من الأمر الإلهي بتعظيمها،كما قال تعالى"إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ"البقرة 158،فجعل الصفا والمروة من شعائر الله،وأمر بتعظيمها كما في قوله"ذَلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ"الحج 32،أما الآثار التي يتركها الإنسان فليس لها أهمية إلا بما تحمله من معنى تاريخي،ونسبتها إلي الماضي البعيد،فتكمن أهميتها في قِدمها مع أنها عند المعاصرين لها في الزمن لم تكسب تلك الأهمية،ولكن اكتسبت قيمتها من تراكم الزمن وتباعد التاريخ بخلاف المقدسات الإسلامية فإن هذه ليست من حضارات الإنسان ولم تكسب أهميتها من التاريخ ولا

(1)التعامل مع الآثار في الحضارات القديمة والحضارة الإسلامية :دراسة أنموذجية، جامعة محمد بوضياف بالمسيلة،(ص،258257)، المجلة التاريخية الجزائرية، المجلد5،عدد 2لسنة 2021م
nadir.kouadria@univ-msila.dz

(2)أحكام الآثارفي الشريعة الاسلامية دراسة عقدية، دخالد بن عبدالعزيز السيف (ص161)

من تراكم الزمن بل أهميتها كامنة في الأمر الإلهي بتقديسها وهذا الأمر يتعالى علي التاريخ والزمن كحال الكعبة أو الأرض المباركة التي أسري إليها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد قال تعالى تعالى"سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى"الاسراء1،ومثل ذلك يقال في المساجد التاريخية من حيث إن العمر التاريخي للمسجد لا علاقة له بالأفضلية الشرعية بل الأفضلية مستمدة من أوامر الشريعة المتواترة في تعظيمها كالمسجد الحرام والمسجد النبوي والمسجد الأقصى ومسجد قباء،ولا تزداد أهمية المقدسات مع تقادم الزمن كحال بقية الآثار البشرية التي تزداد أهميتها طردياً مع عمرها التاريخي،فالعمر التاريخي للمسجد ليس له ميزة شرعية إطلاقاً،ويدل علي ذلك ما جاء عَنْ أَبِي ذَرٍّ،قَالَ: قُلْتُ يَا رَسُولَ اللهِ: أَيُّ مَسْجِدٍ وُضِعَ فِي الْأَرْضِ أَوَّلُ؟ قَالَ"الْمَسْجِدُ الْحَرَامُ" قُلْتُ: ثُمَّ أَيٌّ؟ قَالَ: الْمَسْجِدُ الْأَقْصَى قُلْتُ: كَمْ بَيْنَهُمَا؟قَالَ: أَرْبَعُونَ سَنَةً،وَأَيْنَمَا أَدْرَكَتْكَ الصَّلَاةُ فَصَلِّ فَهُوَ مَسْجِدٌ[1]،ووجه الاستشهاد أن المسجد الأقصي أقدم في الزمن التاريخي من المسجد النبوية مع أن المسجد النبوي أفضل منه بالإتفاق كما جاء في حديثْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ "صَلَاةٌ فِي مَسْجِدِي هَذَا خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ صَلَاةٍ فِيمَا سِوَاهُ إِلَّا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ [2] وهذا التعظيم والفضل للمسجد لا يزيده تراكم الزمن ولا عجلة التاريخ ففضيلته واحدة عند من عاصر بناه وعند من تقوم عليه الساعة لأنه اكتسب فضيلته وأهميته من الأمر الإلهي وليس من السنين،ويدخل في ذلك جميع ما ذكره المهتمون بالآثار الإسلامية كمقام إبراهيم والحجر الأسود

(1)صحيح مسلم (370/1).

(2)صحيح البخاري الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، أبو عبد الله (ت/256 هـ)،(68/3)،باب فضل الصلاة في مسجد مكة والمدينة،ت/ محمد فؤاد عبد الباقي ـــــ دار السلام،الرياض،ط1 1419 هـ

ومشاعر الحج كعرفه ومزدلفة ومني وغيرها فكلها تتعالي علي كونها أثاراً ولا تدخل ضمن مقوله التاريخ،فكل هذة الآثار الإسلامية لا يصح تسميتها آثاراً[1]

ولأهمية الآثار أقول لك شيء كل من ذهب إلى الحج ورأى آثار النبي صلى الله عليه وسلم أو آثار المواقع أو ذهب إلى بدر أو إلى أحد، يتضاعف إيمانه أضعافاً مضاعفة إلى حد أنه يبكي،ورب العالمين يقول"فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا" كَيْفَ أنظر خيراً وشراً يقول "فَتِلْكَ مَسَاكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَنْ مِنْ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا"وحينئذٍ هذه الآثار للشر لكي تحمد الله على العافية وللخير لكي تحمد الله على الإيمان من أجل هذا إن زيارة الآثار عبادة عظيمة[2]

وتمثل الآثار الإسلامية في بلادنا جزءاً مهماً من الموروث الثقافي الإسلامي الذي يكرس الانتماء لهذا الدين عبر التواصل مع الحقيقة التي شهدتها أرض هذه البلاد عبر سجال طويل بين النور والظلام والدعوة إلى الله زمن النبوة وطيلة القرون والسنوات الماضية مما يمثل سجلا واقعيا للأحداث والمناسبات الإسلامية على امتداد تلك الفترات من التاريخ،ومن هذا المنطلق تبرز أهمية المحافظة على تلك المواقع والآثار الإسلامية كما تبرز الأهمية لضرورة العمل على تحصينها مما قد يتلبسها من البدع والانحرافات الفكرية التي قد تؤثر في العقيدة،وبالتالي فلا يجب أن يكون ذلك مبرراً لمحو وإهمال شواهد ومعالم هذا التاريخ الناصع المشرق بالدعوة إلى الله والجهاد والإخلاص للعقيدة وإهماله بكل صوره وجوانبه وآثاره، كما أن هناك العديد من آيات القرآن الكريم التي تحث على النظر المباشر والتبصر بحال الأمم الأخرى

---

(1)أحكام الآثارفي الشريعة الاسلامية دراسة عقدية، دخالد بن عبدالعزيز السيف (ص150ـــ 152)،كلية الشريعة والدراسات الاسلامية ـــ قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة ـــ جامعة الفصيم، علم الآثار د/جمال عبد الهادي، وفاء رفعت،(ص126،131،124)،دار الشروق ـــجدة،الآثار الاسلامية، حسني محمود نويصر(ص29،20)، مكتبة زهراء الشرق ـــ مصر

(2)لمسات بيانية لسور القرآن الكريم (نسخة معدلة) (242/2)،(279،278/4) المؤلف/ د. فاضل السامرائي، د. حسام النعيمي،د. أحمد الكبيسي،المصدر: حلقات (لمسات بيانية)د/ فاضل السامرائي،د/حسام النعيمي، والكلمة وأخواتهاد/ أحمد الكبيسي. وبعض كتب د/ فاضل السامرائي،عدد الأجزاء: 13

وما حل بها عبر آثارها وشواهدها الباقية.وهذا يعزز من أهمية الحفاظ على جميع الآثار لأخذ العبرة في كافة صورها[1]

فمثلاً قوله تعالى"يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَحَارِيبَ وَتَمَاثِيلَ" فقد اعتبرت الآية أن عمل وصنع التماثيل من النعم التي أنعم الله بها على آل داود رضي الله عنهم،والتي ينبغي أن يشكروا الله تبارك وتعالى عليها،ولم تكن التماثيل آنذاك معبودة، وفي ذلك إباحتها إن لم تكن معبودة،ولم تشكل خطراً على عقيدة التوحيد،وكذلك التماثيل الأثرية التي لا تعبد من دون الله تعتبر من المباحات التي ينبغي المحافظة عليها ولا يجوز إتلافها،فكانت الحكمة من النهي عنها والأمر بإزالتها لكونه صلى الله عليه وسلم بُعث فيهم والتماثيل تعبد من دون الله تعالى أما وقد زالت علة التحريم،فالأصل أن يعود الحكم إلى الإباحة،وكأنه إنما حرمت التماثيل لأنه بمرور الزمان اتخذها الجهلة مما يعبد وظنوا وضعها في المعابد لذلك فشاعت عبادة الأصنام أو سدا لباب التشبه بمتخذي الأصنام بالكلية[2]، وذَلِكَ كَانَ جَائِزًا فِي تِلْكَ الشَّرِيعَةِ وَكَانُوا يَعْمَلُونَ أَشْكَالَ الْأَنْبِيَاءِ وَالصَّالِحِينَ مِنْهُمْ عَلَى هَيْئَتِهِمْ فِي الْعِبَادَةِ لِيَتَعَبَّدُوا كَعِبَادَتِهِمْ وَقَدْ قَالَ أَبُو الْعَالِيَةِ لَمْ يَكُنْ ذَلِكَ فِي شَرِيعَتِهِمْ حَرَامًا ثُمَّ جَاءَ شَرْعُنَا بِالنَّهْيِ عَنْهُ[3]،وفي قوله"قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ"فقد استدل إبراهيم عليه السلام على فساد مصير قومه واستنكاره عليهم موجه إلي كونهم عبدوا ما نحتوا وتركوا عبادة خالقهم،ولم يوجه الاستنكار إلى فن النحت،وإنما كان موجهاً ضد عبادة ما يُنحت،مما يعني إباحة نحت التماثيل إذا لم تكن للعبادة وأن تحريم التماثيل في الإسلام كان معللاً باتخاذها للعبادة،فإن اتخذت لغرض مباح كانت من المباحات ولا يجوز التعرض لها بالهدم أو الإتلاف،فالمراد

(1)المعرفة والتاريخ يعقوب بن سفيان بن جوان الفارسي الفسوي، أبو يوسف (ت/ 277هـ)،(628/2)، المحقق: أكرم ضياء العمري،الناشر،مؤسسة الرسالة، بيروت،ط2، 1401هـ- 1981م

(2)روح المعاني الألوسي(294/11)، حماية الآثار في الفقه الإسلامي،إعدد/أحمد خالد أحمد نوفل،(ص120).

(3)فتح الباري لابن حجر أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي،(382/10)،دار المعرفة ،بيروت، 1379،رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي،قام بإخراجه وصححه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب،عليه تعليقات العلامة: عبد العزيز بن عبد الله بن باز

بقوله"مَا تَنْحِتُونَ"المنحوت لا النحت لأنهم ما عبدوا النحت وإنما عبدوا المنحوت فوجب أن يكون المراد بقوله "ومَا تَعْمَلُونَ" المعمول لا العمل حتى يكون كل واحد من هذين اللفظين على وفق الآخر[1]،واستدل بعض المفسرين على أن السفر في الأرض،بغرض النظر بما حل بالأقوام والحضارات السابقة مندوب،وتعددت الآيات التي تأمرنا بالسير والنظر والتأمل في هذة الآثار وجاءت بالأمر بهذا"قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ انْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ"الأنعام 11[2]،فالأمم المهْلَكة كانُوا أَكْثَرَ مِنْهُمْ عدداً وَأَشَدَّ قُوَّةً فى الأبدان والأموال،وَأشد آثاراً فِي الْأَرْضِ أي: تركوا آثاراً كثيرة بعدهم،من الأبنية، والقبور،والمصانع،فكانوا أشدّ منهم،وقيل:هي آثار أقدامهم في الأرض لعظم أجرامهم[3]، وأَمَّا بَيَانُ أَنَّهُمْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْ هَؤُلَاءِ عَدَدًا فَإِنَّمَا يُعْرَفُ فِي الْأَخْبَارِ،وَأَمَّا أَنَّهُمْ كَانُوا أَشَدَّ قُوَّةً وَآثَارًا فِي الْأَرْضِ،فَلِأَنَّهُ قَدْ بَقِيَتْ آثَارُهُمْ بِحُصُونٍ عَظِيمَةٍ بَعْدَهُمْ،مِثْلُ الْأَهْرَامِ،وَمِثْلُ هَذِهِ الْبِلَادِ الْعَظِيمَةِ الَّتِي بَنَاهَا الْمُلُوكُ الْمُتَقَدِّمُونَ،وَمِثْلُ مَا حَكَى اللَّهُ عَنْهُمْ مِنْ أَنَّهُمْ كَانُوا يَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا[4]،ولذلك قال ابن كثير عن صرح فرعون واصفاً عظمه وطوله" أَنَّ فِرْعَوْنَ بَنَى هَذَا الصَّرْحَ الَّذِي لَمْ يُرَ فِي الدُّنْيَا بِنَاءٌ أَعْلَى مِنْهُ[5]

فالقضاء على الآثار إذن إنما هو قضاء على الأدلة المحسوسة الشاهدة بقدرة الله؛ لذا نجد العلماء اعتبروا السفر لرؤية الآثار سفر عبرة؛ فهو محبوب ومطلوب شرعا لتحقيق الاتعاظ،وقد قَسَّمَ الْعُلَمَاءُالذَّهَابَ فِي الْأَرْضِ قِسْمَيْنِ:هَرَبًا وَطَلَبًا،وَأَمَّا قِسْمُ الطَّلَبِ فَيَنْقَسِمُ قِسْمَيْنِ:طَلَبُ دِينٍ وَطَلَبُ دُنْيَا،فَأَمَّا طَلَبُ الدِّينِ فَيَتَعَدَّدُ بِتَعَدُّدِ أَنْوَاعِهِ إِلَى تِسْعَةِ أَقْسَامٍ:الْأَوَّلُ– سَفَرُ الْعِبْرَةِ، قَالَ تَعَالَى"أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ

(1)مفاتيح الغيب (135/13)، حماية الآثار في الفقه الإسلامي،إعدد/أحمد خالد أحمد نوفل،(ص120)

(2) جامع البيان عن تأويل آي القرآن محمد بن جرير الطبري (ت/310هـ)،(166/9)ت/الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات الإسلامية ، الدكتور عبد السند حسن يمامة،دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان،ط1، 1422 هـ - 2001 م

(3)البحر المديد في تفسير القرآن المجيد (156/5)

(4) تفسير الرازي(535/27)

(5) مختصر تفسير ابن كثير (14/2)، التفسير الوسيط لطنطاوي (408/10)

كانَ عاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ"وَهُوَ كَثِيرٌ [1]، فالآثار إرث إنساني ينبغي إبـــراز أهميتهـــا والحفاظ عليها وعدم إتلافها أو هدمها، حيث تعتبر جزءًا من الهوية الوطنيـــة، ولأن الأصل في الأشياء الإباحة، فإن التأمل في آثار الحضارات الماضـــية يُعـــد وســـيلة للتذكير بعواقب العصيان والتمسك بالإيمان، وبالنظر في الأدلة التي دعت إلى هدمها وإزالتها، نجد أنها قامت على أساس أن أهلها يعبدونها مـــن دون الله، أو أن هنـــاك خطرًا محققًا على عقيدتهم، ولكونهم حديثي عهد بالجاهلية، كانت هذه علة للحكـــم، ومتى زالت العلة، عاد الحكم إلى الإباحة، وعلى مدار الســـنين الماضـــية، عـــاش المسلمون وعاصروا هذه الآثار، سواء كانت في بلاد المسلمين أو في بلاد غيـــرهم، فلم يُثبت أن من المسلمين من افتتن بهذه الآثار أو عبدها من دون الله تعالى، فلا بـــد من التفريق بين التعظيم الديني الذي يقصد به العبادة، والتعظيم السياسي أو العلمـــي الذي يهدف إلى رفع شأن الدولة أو تقدير العلماء.

المبحث الثالث: من آثار الحضارات القديمة التي تحدث عنها القرآن الكريم

كان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كثيراً ما يقص على أصحابه قصص السابقين للعظة والاعتبار، وقد كان ما يحكيه مقدَّماً بقوله: كان فيمن قبلكم ثم يقص صَلَّى اللَّهُ عَلَيْـــهِ وَسَلَّمَ على مسامعهم القصة وما انتهت إليه،فقد كان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يتمثل منهجاً ربانياً "فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ"الأعراف: 176،وتلك القصص كانت قصصاً تتميز بالواقعية والصدق،لأنها تهدف إلى تربية النفوس وتهذيبها،وليس لمجرد التسلية والإمتاع حيث كان الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين يأخذون من كل قصة العظة والعبرة، كما يخرجون منها بدرس تربوي سلوكي مستفاد ينفعهم وينفع مـــن

(1) تفسير القرطبي (5/ 349،350)

بعدهم في الدارين [1]، فيجب النظر في الكون،والبحث عما فيه للعظة والاعتبار،وتحقيق الخشية من الله تعالى والإيمان به،والحثّ على العلم والبحث والتأمّل،فمن دون العلم لا تتقدم البشرية،ومن غير العلم والنظر لا توجد عقيدة الإيمان بالله تعالى،وبغير العلم لا تنتظم شؤون الدنيا،ولا يقتنع الناس بعدالة الله في الحساب،وإذا لم يوجد العلم حلّ الجهل والفوضى، كل ذلك لتقرير أن الإسلام دين علم وعمل،وأن الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هو المعلّم الأول،والموجّه الأول للبشرية نحو السعادة[2]، ويعّد هذا وجهاً من وجوه إعجاز القرآن الكريم وهو الإعجاز التاريخي والغيبي،والذي تناول التطور الإنساني عبر التاريخ،ويرى فريق من الباحثين أن القرآن معجز بما فيه من أخبار ماضيةَ،وتنبؤات مستقبلة أثبت الواقع صحتها،وممن قال بهذا الرأي القاضي أبو بكر الباقلاني،والرماني،ومحمد بن حزم الظاهري وغيرهم[3]،وَلَعَلَّ هَذَا هُوَ الَّذِي عَنَاهُ عِيَاضٌ بِقَوْلِهِ فِي الشِّفَاءِ،مَا أَنْبَأَ بِهِ مِنْ أَخْبَارِ الْقُرُونِ السَّالِفَةِ وَالْأُمَمِ الْبَائِدَةِ وَالشَّرَائِعِ الدَّاثِرَةِ مِمَّا كَانَ لَا يَعْلَمُ الْقِصَّةَ مِنْهُ إِلَّا الْفَذُّ مِنْ أَحْبَارِ أَهْلِ الْكِتَابِ الَّذِي قَضَى عُمُرَهُ فِي تَعْلِيمِ ذَلِكَ فَيُورِدُهُ النَّبِيءُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى وَجْهِهِ فَيَعْتَرِفُ الْعَالِمُ بِذَلِكَ بِصِحَّتِهِ وَصِدْقِهِ[4]،ومع ما في القرآن الكريم من إعجاز لغوي ناسب العرب الذي نزل بلغتهم،فإنه يشتمل على وجوه عدة للإعجاز تناسب كافة الأمم؛لأن الرسول بعث للعالم كله،ففي القرآن من وجوه

(1)المفصل في أحكام الهجرة لعلي الشحود،علي بن نايف الشحود(8/5)، المصدر: الشاملة الذهبية
(2)التفسير الوسيط للزحيلي (1014/2)
(3)خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية عبد العظيم إبراهيم محمد المطعني (ت/1429هـ)،(127/1)،(رسالة دكتوراه بتقدير ممتاز مع مرتبة الشرف الأولى)،مكتبة وهبة،ط1، 1413 هـ، 1992 م
(4)الإتقان في علوم القرآن عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت/911هـ)،(19/4)ت/ محمد أبو الفضل إبراهيم،الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب،الطبعة: 1394هـ/ 1974م، الموسوعة القرآنية إبراهيم بن إسماعيل الأبياري (ت/1414هـ)،(331/2)، مؤسسة سجل العرب،الطبعة: 1405هـ، التحرير والتنوير(126/1).

الإعجاز الكثير،ومنها الإعجاز التاريخي بما فيه من بيان لتاريخ السابقين وآثارهم ومللهم ونحلهم؛ ليناسب أهل الحضارات المهتمين بالتاريخ[1].

ثم إنك لو نظرتَ إلى جزئيات الحضارة في الكون تجد أن الأمم صاحبة الحضارات لم تستطع أنْ تجعل لنفسها وقاية من اندحار حضارتهم، ولم يستطيعوا صيانتها، حتى العصور التقدمية: كنا في العصر الحجري،ثم عصر البخار،ونحن الآن في عصر الفضاء، إذن:نحن

مرتقون فقط في الماديات،لكن منحدرون في المعنويات[2]، وإذا نظرنا إلى الحضارات المختلفة، نجد أنها عانت من الانهيار رغم التقدم المادي، لذا فإن الارتقاء في القيم والمعنويات هو ما يحتاجه العالم اليوم، ولعل حضارة القرآن تبقى في صدارة الحضارات بسبب قيمها النبيلة وتعاليمها السامية، وقد اشتمل هذا المبحث علي مطلبين.

المطلب الأول: قوم عاد في القرآن عبرة من مآسي الأمم البائدة: أخبر القرآن الكريم والسنة النبوية عن الحضارات السابقة وذكرت أحداثا وأمماً وشخصيات وأماكن تاريخية تم اكتشافها حديثا، فالقرآن والسنة يحثان الناس على البحث في تاريخ الأمم السابقة لإدراك السنن الكونية التي تتحكم في تقرير مصير التجمعات البشرية وتوحي آيات القرآن الكريم وسنة المصطفى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بإدراك شامل وكامل لحقائق العلم والفكر والتاريخ،لأن الآثار تعتبر انعكاسا لتاريخ الشعوب،ونمط حياة أجيال متعاقبة،ورؤية حضارات من كان قبلنا من الأمم تعين على معايشة قصص القرآن الكريم،وتؤكد على تحقق سنة نصر عباد الله المؤمنين،فبقاء هذة الحضارات والحفاظ عليها يرسم الصورة كاملة لمعاني الصبر والنصر،والعسر واليسر،ولقد تحدث القرآن عمن كان قبلنا من الأمم،وأنهم عمروا

(1)السيرة النبوية والدعوة في العهد المكي أحمد أحمد غلوش،(ص102)،مؤسسة الرسالة،ط1،1424هـ-2003م

(2)تفسير الشعراوي (11864/19)

الأرض وأقاموا الحضارات،ولكنهم انحرفوا عن منهج الله فدمر الله عليهم،وأمست حضارتهم قاعاً صفصفاً لا تري فيها عوجاً ولا أمتا،والقرآن الكريم يعجُ بذكر آثار السابقين، وعلى نهج الاستقراء الناقص نكتفي ببعض الأمثلة لتدل على ما عداها.

وذكر قوم عاد في القرآن الكريم يعتبر أكثر إنبائه بأخبار الأمم البائدة إعجازا، وذلك لأن هذه الأمة قد أبيدت إبادة كاملة بعاصفة رملية غير عادية، طمرتهم وردمت آثارهم حتى أخفت كل أثر لهم من على وجه الأرض،وبسبب ذلك أنكرت الغالبية العظمى من الأثريين والمؤرخين وجود قوم عاد، واعتبروا ذكرهم في القرآن الكريم من قبيل القصص الرمزي لاستخلاص العبر والدروس، بل تطاول بعض الكتاب فاعتبروهم من الأساطير التي لا أصل لها في التاريخ، ثم جاءت الكشوف الأثرية في الثمانينيات والتسعينيات من القرن العشرين بالكشف عن مدينة إرم وإثبات صدق القرآن الكريم في كل ما جاء به عن قوم عاد ولقد انفرد القرآن الكريم بذكر قصة قوم عاد،ونبيهم هود عليه السلام، في سورتين من سور القرآن الكريم سميت إحداهما باسم نبيهم هود عليه السلام،وسميت الأخرى باسم موطنهم الأحقاف،وفي عشرات الآيات القرآنية الأخرى التي تضمها ثماني عشرة سورة من سور القرآن الكريم [1]، فها هي آثار عاد وغيرهم ما تزال شاهدةً عليهم، بعضها فوق الأرض،ومعظمها مطمور تحت طبقات الثَّرى؛ لذلك نجد أن كل الآثار القديمة يجدونها في الحفريات تحت الأرض،ولم لا وقد كانت العاصفة تهبُّ الهبَّة الواحدة، فتبتلع القافلة بأكملها، فما بالك بهبَّات الرياح من أيام عاد حتى الآن،إذن: خذوا عبرة من مصير هؤلاء[2]، وكما أن في القرآن الكريم يشير إلى أن هناك عادًا الأولى،وعادً الثانية كما جاء في

(1) سورة الأعراف من الآية 65 ـــ72،وسورة هود من الآية 50 ـــ 60،وسورة المؤمنون من الآية31 ـــ 42،وسورة الشعراء من الآية 123 ـــ 140،وسورة فصلت من الآية 15 ـــ 16،وسورة الأحقاف من الآية 21 ـــ 26،وسورة القمر من الآية 18 ـــ 21،وسورة الحاقة من الآية 21 ـــ 26،وسورة النجم الآية 50، وسورة الفجر من الآية 6 ـــ 7، العنكبوت، 38،ابراهيم 9،الحج 42، ص12،غافر31،ق13،الذاريات41،الفرقان38

(2)تفسير الشعراوي(11860/19).

سورتي (النجم الآية 50،51، الفجر الآية 6،7) [1]، فقد تكررت فصتهم بأساليب مختلفة،وكان لهذا التكرار حكمة بالغة لأنه يعطي نوعاً من التجدد،ولوناً من التكامل،ودرساً متكرراً يطالعه القارىء في كل سورة من السور التي ورد فيها الموضوع،وأجمل الآيات التي تصدت لوصف هذه الحضارة، وذكرت عناصرها هي آيات سورة الشعراء،ولكنها لا تستقل وحدها بإعطاء الدلالة وإنما تتآزر معها غيرها من آيات سورة هود والأعراف والأحقاف والفجر ثم آيات الشعراء التي ترسم لوحة حية معبرة عن حضارة مكتملة زاهية،قد استجمعت عناصر البناء والعمارة وإقامة المصانع وإنشاء الحصون وتمهيد الأرض وغرس الحدائق وتفجير العيون ووفرة المال،ويرتفع صوت النبي هود عليه السلام داعياً هؤلاء القوم إلى الله تعالى محذراً من نكاله تعالي،لكن القوم قد أسكرتهم نشوة النعيم وغمرتهم أمواج الطرف فصموا عن صوت الداعي وعكفوا علي أصنام وقالوا في وقاحة"سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَوَعَظْتَ أَمْ لَمْ تَكُنْ مِنَ الْوَاعِظِينَ" الشعراء136،فماذا كانت النتيجة ؟"وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ فَهَلْ تَرَى لَهُمْ مِنْ بَاقِيَةٍ"الأحقاف6ــ8، أي بقوا أبدانا بلا رءوس،وذلك أن الريح كانت تأتي الرجل منهم فتقتلعه وترفعه في الهواء،ثم تنكسه على أم رأسه،فتشدخ دماغه،وتكسر رأسه،وتلقيه كأنهم أعجاز نخل منقعر،وقد كانوا تحصنوا في الجبال والكهوف والمغارات،وحفروا لهم في الأرض إلى أنصافهم،فلم يغن عنهم ذلك من أمر الله شيئا[2]،هذا الجزاء من جنس العمل،لقد لجو في الطغيان،وبطشوا جبارين وسخروا من هود ودعوته،فصار هولاء العمالقة الطغاة أعجاز نخل خاوية،وحينما يتحول الطاغية الفاجر إلي هيكل ممدد لا حراك به ولا روح فيه،فهنا موضع التأمل ومنبع العظة،وهذة الحضارة كانت بعد قوم نوح،وليس

(1)دراسات في تاريخ العرب القديم محمد بيومى مهران،(144/1) دارالمعرفة الجامعية،ط2 مزيدة ومنقحة

(2)الأساس في التفسير سعيد حوّى (ت/ 1409هـ)،(3937/7)،دار السلام، القاهرة،ط6، 1424هـ

يعنينا تحديد الزمن بقدر ما يعنينا استلهام العظة والعبرة،وستظل هذة الآيات وإضرابها قرآناً يتلي إلى يوم الدين،ويذكر الناس علي اختلاف العصور مصارع الجبارين وعاقبة الطغيان،كلما مروا بتلك الجبال الرملية قرب حضر موت من ناحية اليمن وهي المعروفة بالأحقاف[1]،الْأَحْقَافُ جَمْعُ حِقْفٍ وَهُوَ الرَّمْلُ الْمَائِلُ شَدِيدَةَ الْحَاجَةِ إِلَى الْمَطَرِ ويَدُلُّ عَلَى شِدَّةِ حَاجَتِهِمْ إِلَى الْمَطَرِ أَنَّهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَادِرَةَ الْعَذَابِ الَّذِي أُنْذِرُوا بِهِ اسْتَبْشَرُوا إِذْ ظَنُّوا أَنَّهُ سَحَابٌ يُمْطِرُهُمْ، قَالَ – تَعَالَى – فِي سُورَةِ الْأَحْقَافِ"فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ قَالُوا هَذَا عَارِضٌ مُمْطِرُنَا" آية 24[2].

وَابْتُدِئَ بِعَادٍ وَ بِثَمُودَ فِي الذِّكْرِ مِنْ بَيْنِ الْأُمَمِ الْمُكَذِّبَةِ لِأَنَّهُمَا أَكْثَرُ الْأُمَمِ الْمُكَذِّبَةِ شُهْرَةً عِنْدَ الْمُشْرِكِينَ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ لِأَنَّهُمَا مِنَ الْأُمَمِ الْعَرَبِيَّةِ وَلِأَنَّ دِيَارَهُمَا مُجَاوِرَةٌ شَمَالًا وَجَنُوبًا قريش[3]

وقد جاءت آيات عديد لتتحدث وتصف حضارة قوم عاد فمثلا قوله تعالى:"أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ إِرَمَ ذَاتِ العماد التي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي البلاد وَثَمُودَ الذين جَابُواْ الصخر بالواد وَفِرْعَوْنَ ذِى الأوتاد الذين طَغَوْاْ فِي البلاد فَأَكْثَرُواْ فِيهَا الفساد"الفجر1،12 وَهَؤُلَاءِ كَانُوا مُتَمَرِّدِينَ

عُتَاةً جَبَّارِينَ، خَارِجِينَ عَنْ طَاعَتِهِ مُكَذِّبِينَ لِرُسُلِهِ، فَذَكَرَ تَعَالَى كَيْفَ أَهْلَكَهُمْ وَدَمَّرَهُمْ وَجَعَلَهُمْ أَحَادِيثَ وَعِبَرًا فَقَالَ"أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ"؟، وَهَؤُلَاءِ عَادٌ الْأُولَى وَهُمُ الَّذِينَ بَعَثَ اللَّهُ فِيهِمْ رَسُولَهُ هُودًا عَلَيْهِ السَّلَامُ فَكَذَّبُوهُ وَخَالَفُوهُ، فَأَنْجَاهُ اللَّهُ مِنَ بَيْنِ أَظْهُرِهِمْ وَمَنْ آمَنَ مَعَهُ مِنْهُمْ وَأَهْلَكَهُمْ"بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ"،وقد ذكر الله قصتهم في القرآن،لِيَعْتَبِرَ بِمَصْرَعِهِمُ الْمُؤْمِنُونَ، فَقَوْلُهُ تَعَالَى"إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ"عَطْفُ بَيَانٍ زِيَادَةُ تَعْرِيفٍ بِهِمْ[4]،وقَرَأَ الْجُمْهُورُ بِتَنْوِينِ: عَادٍ عَلَى أَنْ يَكُونَ إِرَمَ عَطْفَ بَيَانٍ

(1) قيم حضارية في القرآن الكريم عالم ما قبل القرآن، تأليف/توفيق محمد سبيع،(ص157)،دار المنار للنشر والتوزيع ـــ مصر
(2) تفسير المنار(96/12)
(3) التحرير والتنوير(115/29).
(4) مختصر تفسير ابن كثير(636/2).

لِعَادٍ، وَالْمُرَادُ بِعَادٍ اسْمُ أَبِيهِمْ، وَإِرَمُ: اسْمُ الْقَبِيلَةِ أو بدلا مِنْهُ،وَامْتِنَاعُ صَرْفِ إِرَمَ لِلتَّعْرِيفِ وَالتَّأْنِيثِ، وَقِيلَ: الْمُرَادُ بِعَادٍ أَوْلَادُ عَادٍ، وهُمْ عَادٌ الْأُولَى، وَيُقَالُ لِمَنْ بَعْدَهُمْ عَادٌ الْأُخْرَى،فَيَكُونُ ذِكْرُ إِرَمَ عَلَى طَرِيقَةِ عَطْفِ الْبَيَانِ أَوِ الْبَدَلِ لِلدَّلَالَةِ عَلَى أَنَّهُمْ عَادٌ الْأُولَى لَا عَادٌ الْأُخْرَى(1)،وَقَالَ الْجُمْهُورُ: إِرَمُ مَدِينَةٌ لَهُمْ عَظِيمَةٌ كَانَتْ عَلَى وَجْهِ الدَّهْرِ بِالْيَمَنِ،وقيل: هِيَ قَبِيلَةٌ بِعَيْنِهَا،وقيل: إِرَمُ هُوَ أَبُو عَادٍ كُلِّهَا،و"إِرَمُ" مَعْنَاهُ الْقَدِيمَةُ،وهي بِكَسْرِ الْهَمْزَةِ وَفَتْحِ الرَّاءِ وَالْمِيمِ مَمْنُوعُ الصَّرْفِ لِلتَّأْنِيثِ وَالْعَلَمِيَّةِ لِأَنَّهُ اسْمٌ لِلْقَبِيلَةِ،وَسَوَاءٌ كَانَتِ اسْمَ قَبِيلَةٍ أَوْ مَدِينَةٍ،وَإِنْ كَانَ يَتَرَجَّحُ كَوْنُهَا مَدِينَةً بِقَوْلِهِ"لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُها فِي الْبِلادِ"،وَذَكَرَ الْمُفَسِّرُونَ أَنَّ ذَاتَ الْعِمَادِ مَدِينَةٌ ابْتَنَاهَا شَدَّادُ بْنُ عَادٍ لَمَّا سَمِعَ بِذِكْرِ الْجَنَّةِ عَلَى أَوْصَافٍ بَعِيدٍ،أَوْ مُسْتَحِيلٍ عَادَةً أَنْ يُبْنَى فِي الْأَرْضِ مِثْلُهَا،وَأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى بَعَثَ عَلَيْهَا وَعَلَى أَهْلِهِ صَيْحَةً قَبْلَ أَنْ يَدْخُلَهَا هَلَكُوا جَمِيعًا،ثُمَّ أَوْقَفَ المولي عز وجل الْمُخَاطَبَ عَلَى مَصَارِعِ الْأُمَمِ الْكَافِرَةِ الْمَاضِيَةِ مَقْصُودًا بِذَلِكَ تَوَعُّدُ قُرَيْشٍ،وَنَصْبُ الْمَثَلِ لَهَا،وَعَادٌ هُوَ عَادُ بْنُ عَوْصٍ، وَأُطْلِقَ ذَلِكَ عَلَى عَقِبِهِ[2]،والمعني: أن الله تبارك وتعالى جاء بحضارة الفراعنة وقدماء المصريين بعد عاد وثمود،وهذا دليل على أن حضارة عاد وثمود قديمة،والله سبحانه وتعالى

وصف عادا بأنها التي لم يخلق مثلها في البلاد،أي أنها حضارة أرقى من حضارة قدماء المصريين،وكانت القبائل تُنسَب إلى الأب الأكبر فيها،ولصاحب الشهرة والنباهة بين قومه ،فعاد هو أبو هذه القبيلة وقد يتساءل بعض الناس كيف يصف الله سبحانه وتعالى عادا بأنها التي لم يخلق مثلها في البلاد،مع أنه يوجد الآن حضارات متقدمة كثيرة،نقول إن الله قد كشف لنا حضارة الفراعنة وآثارهم ولكنه أخفى عنا حضارة عاد،ولقد وجدنا في حضارة الفراعنة أشياء لم نصل إليها حتى الآن، مثل براعتهم في تحنيط الموتى والمحافظة على الجثث،وبناء الأهرامات وغير ذلك،وبما أن حضارة عاد كانت أرقى من حضارة الفراعنة،فإنها تكون قد وصلت إلى أسرار

(1) فتح القدير للشوكاني (529/5).
(2)البحر المحيط في التفسير (472/471/10)

مازالت خافية على العالم حتى الآن،فنحن لم نَرَ حضارة عاد،ولم نَرَ آثارهم، كما رأينا مثلاً آثار الفراعنة في مصر؛لأن حضارة عاد طمرتْها الرمال،وكانوا بالجزيرة العربية في منطقة تُسمَّى الآن بالرَّبْع الخالي؛ لأنها منطقة من الرمال الناعمة التي يصعب السير أو المعيشة بها،ولكي نعرف هذه الحضارة نقرأ قوله"أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ إِرَمَ ذَاتِ العماد التي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي البلاد"الفجر 68،وما دامت لم يُخلَق مثلها في البلاد ،فهي أعظم من حضارة الفراعنة التي نشاهدها الآن،وليس عجيباً أنْ تختفي حضارةٌ، كانت أعظم حضارات الدنيا تحت طبقات الرمال،فالرمال حين تثور تبتلع كل ما أمامها،حتى إنها طمرتْ قبيلة كاملة بجِمالها ورجالها،وهذه هبة واحدة،فما بالك بثورة الرمال،وما تسفوه الريح طوال آلاف السنين؟، وأنا واثق من أنهم إذا ما نبشوا هذه الرمال وأزاحوها لوجدوا تحتها أرضاً خصبة وآثاراً عظيمة [1]، فقوم عاد هم أمة قديمة أبيدت بالكامل بعاصفة رملية غير عادية، مما جعل آثارهم مفقودة، وقد ورد تاريخهم في القرآن كأخبار حقيقية، رغم أن بعض المؤرخين اعتبروها أساطير، ولكن تظل قصة قوم عاد تذكيراً دائماً بعواقب الطغيان، وتحث على التأمل في مصير الجبارين عبر العصور

وينتهي نسب هود- عليه السلام- إلى نوح- عليهما السلام- وقومه هم قبيلة عاد- نسبة إلى أبيهم الذي كان يسمى بهذا الاسم- وكانت مساكنهم بالأحقاف باليمن- والأحقاف جمع حقب وهو الرمل الكثير المائل- وكانوا يعبدون الأصنام،فأرسل الله تعالى نبيهم هودا لينهاهم عن ذلك،وليأمرهم بعبادة الله وحده،وبشكره سبحانه على ما وهبهم من قوة وغنى،والمقصود بهذه القبيلة عاد الأولى،التي أرسل الله تعالى إليهم هودا عليه السلام وكانوا معروفين بقوتهم وضخامة أجسامهم، وقد جاء الحديث عنهم كثيرا في القرآن الكريم،والمعنى: لقد وصل إلى علمك أيها الرسول الكريم بصورة يقينية،خبر قبيلة عاد،والتي كانت تسكن بيوتا ذات أعمدة ،ترفع عليها خيامهم

(1) تفسير الشعراوي (325/1)،(10632/17)

ومبانيهم الفارهة،والتي لم يخلق مثلها، أي: مثل هذه القبيلة أحد في ضخامة أجسام أفرادها،وفي قوة أبدانها،وفيما أعطاها الله تعالى من غنى وقوة[1]

ورُوي أنه كان لعاد ابنان شدّاد وشديد،ثم مات شديد وخلص الأمر لشدّاد،فملك الدنيا،ودانت له ملوكها،فسمع بذكر الجنة، فقال:أبني مثلها،فبنى إرم في بعض صحاري عدن في ثلاثمائة سنة،وكان عمره تسعمائة سنة،وهي مدينةٌ عظيمةٌ،قصورها من الذهب والفضة،وأساطينها من الزبرجد والياقوت،وفيها أصناف الأشجار والأنهار،ولمّا تمّ بناءها سار إليها بأهل مملكته،فلمّا كان منها على مسيرة يوم وليلةٍ،بعث اللهُ عليه صيحة من السماء فهلكوا،وقيل: غطتها الريح بالرمل فما غمَّا عليها،وعن عبد الله بن قلابة:إنه خرج في طلب إبل له،فوقع عليها، فحمل ما قدر عليه ممّا ثمّ، فبلغ خبره معاوية،فاستحضره فقصّ عليه،فبعث إلى كعب فسأله،فقال: هي إرم ذات العماد[2]، وَكَانَ زَمَانُهُمْ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ،كَمَا قَالَ تعالي"وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِن بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِي الخلق بسطة"الأعراف 69،وَذَلِكَ أَنَّهُمْ كَانُوا فِي غَايَةٍ مِنْ قُوَّةِ التركيب والقوة والبطش الشديد، والأموال والجنات والأنهار،وَالْأَبْنَاءِ وَالزُّرُوعِ وَالثِّمَارِ،وَكَانُوا مَعَ ذَلِكَ يَعْبُدُونَ غير الله معه، فبعث الله هوداً إِلَيْهِمْ رَجُلًا مِنْهُمْ رَسُولًا وَبَشِيرًا وَنَذِيرًا فَدَعَاهُمْ إلى الله وحده وحذرهم نقمته وعذابه[3]، وَكَانُوا قَدْ فَشَوْا فِي الْأَرْضِ كُلِّهَا وَقَهَرُوا أَهْلَهَا بِفَضْلِ قُوَّتِهِمُ الَّتِي آتَاهُمُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ،وَكَانُوا أَصْحَابَ أَوْثَانٍ يَعْبُدُونَهَا لهم،صنم يقال له صداء وَصَنَمٌ يُقَالُ لَهُ صَمُودٌ،وَصَنَمٌ يُقَالُ لَهُ الْهَبَاءُ،فَبَعَثَ اللَّهُ إِلَيْهِمْ هُودًا نَبِيًّا وَهُوَ مِنْ أَوْسَطِهِمْ نَسَبًا وَأَفْضَلِهِمْ حَسَبًا فَأَمَرَهُمْ أَنْ يُوَحِّدُوا اللَّهَ وَيَكُفُّوا عَنْ ظلم الناس،ولم يأمرهم بغير ذلك،فكذّبوه وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً، وبنوا الْمَصَانِعَ وَبَطَشُوا بَطْشَةَ الْجَبَّارِينَ، فَلَمَّا

(1)التفسير الوسيط لطنطاوي (385/15)،(265/10).

(2)البحر المديد في تفسير القرآن المجيد أبو العباس أحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة الحسني الأنجري الفاسي الصوفي(ت/ 1224هـ)،(298/7)،السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير، شمس الدين، محمد بن أحمد الخطيب الشربيني الشافعي(ت/977هـ)،(531/4)،مطبعة بولاق، القاهرة،1285هـ

(3)مختصر تفسير ابن كثير اختصار وتحقيق محمد علي الصابوني،(653/2).

فَعَلُوا ذَلِكَ أَمْسَكَ اللَّهُ عَنْهُمُ الْمَطَرَ ثَلَاثَ سِنِينَ حَتَّى جَهَدَهُمْ ذَلِكَ[1]، وقد وصفهم تعالي بقوله" فَأَمَّا عادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ"فصلت 15،وَهَذَا الِاسْتِكْبَارُ فِيهِ وَجْهَانِ الْأَوَّلُ: إِظْهَارُ النَّخْوَةِ وَالْكِبْرِ،وَعَدَمُ الِالْتِفَاتِ إِلَى الْغَيْرِ وَالثَّانِي: الِاسْتِعْلَاءُ عَلَى الْغَيْرِ وَاسْتِخْدَامُهُمْ،ثُمَّ ذَكَرَ تَعَالَى سَبَبَ ذَلِكَ الِاسْتِكْبَارِ وَهُوَ أَنَّهُمْ قَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً وَكَانُوا ذوى أجسام طوال وخلق عظيم،وبلغ من قوّتهم أن الرجل كان ينزع الصخرة من الجبل فيقتلعها بيده، ويلوي الحديد بيده[2]،وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: أَنَّ أَطْوَلَهُمْ كَانَ مِائَةَ ذِرَاعٍ وَأَقْصَرَهُمْ كَانَ سِتِّينَ ذِرَاعًا[3]،فَاغْتَرُّوا بِأَجْسَامِهِمْ حِينَ تَهَدَّدَهُمْ هُودٌ بِالْعَذَابِ،وَمُرَادُهُمْ بِهَذَا الْقَوْلِ أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَى دَفْعِ مَا يَنْزِلُ بِهِمْ مِنَ الْعَذَابِ[4]،ثُمَّ إِنَّهُ تَعَالَى ذَكَرَ مَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ لَا يَجُوزُ لَهُمْ أَنْ يَغْتَرُّوا بِشِدَّةِ قُوَّتِهِمْ،فَقَالَ"أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً"فصلت 15يَعْنِي أَنَّهُمْ وَإِنْ كَانُوا أَقْوَى مِنْ غَيْرِهِمْ،فَاللَّهُ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً،فَهُمْ قَدْ بَلَغُوا فِي الصِّفَاتِ الْمَذْمُومَةِ الْمُوجِبَةِ لِلْهَلَاكِ وَالْإِبْطَالِ إِلَى الْغَايَةِ الْقُصْوَى،فَلِهَذَا الْمَعْنَى سَلَّطَ اللَّهُ الْعَذَابَ عَلَيْهِمْ فَقَالَ"فَأَرْسَلْنا عَلَيْهِمْ رِيحاً صَرْصَراً" فصلت 16وَفِي الصَّرْصَرِ قَوْلَانِ أحدهما: أنها العاصفة التي تصرصر،أي تُصَوِّتُ فِي هُبُوبِهَا،وَفِي عِلَّةِ هَذِهِ التَّسْمِيَةِ وُجُوهٌ قِيلَ: إِنَّ الرِّيَاحَ عِنْدَ اشْتِدَادِ هُبُوبِهَا يُسْمَعُ مِنْهَا صَوْتٌ يُشْبِهُ صَوْتَ الصَّرْصَرِ فَسُمِّيَتْ هَذِهِ الرِّيَاحُ بِهَذَا الِاسْمِ، وَقِيلَ: هُوَ مِنْ صَرِيرِ الْبَابِ، وَقِيلَ: مِنَ الصَّرَّةِ وَالصَّيْحَةِ،وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى" فَأَقْبَلَتِ امْرَأَتُهُ فِي صَرَّةٍ"الذَّارِيَاتِ29، وقيل:إِنَّهَا الْبَارِدَةُ الَّتِي تُحْرِقُ بِبَرْدِهَا كَمَا تُحْرِقُ

(1) معالم التنزيل في تفسير القرآن محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي (ت/510هـ)،(204/2)،ت/ عبد الرزاق المهدي،دار إحياء التراث العربي، بيروت،ط1،1420هـ

(2)الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله(ت/538هـ)، (192/4)،البحر المديد في تفسير القرآن المجيد أبو العباس أحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة الحسني الأنجري الفاسي الصوفي (ت/1224هـ)،(167/5).

(3)الجامع لأحكام القرآن أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي(ت/671هـ)،(347/15).

(4)فتح القدير للشوكاني محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (ت/1250هـ)،(585/4)،دار ابن كثير،دار الكلم الطيب، دمشق، بيروت، ط1،1414 هـ

النَّارُ بِحَرِّهَا،وَأَصْلُهَا مِنَ الصَّرِّ وهو البرد[1]، وفي قصة عاد وإهلاكهم عبرة وعظة لقوله"وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ"الذاريات 41، وهي الشديدة التي لا خير فيها، فهي لا تُلقح شيئًا،هي ريح لا بركة فيها ولا منفعة ولا ينزل منها غيث ولا يلقح بها شجر،كأنه شبّه عدم تضمن المنفعة بعقم المرأة[2]،ويرى بعضهم أن الريح ريح الصبا التي قال فيها الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ"نصرت بالصبا،وأهلكت عاد بالدبور"[3]،يريد أنهم بعدم طاعتهم يحرمون الريح التي بها نصرهم وهو معنى لا بأس به[4]،وقوله:"مَا تَذَرُ مِنْ شَيْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلَتْهُ كَالرَّمِيمِ"الذاريات 42،أَيْ كَالشَّيْءِ الْهَشِيمِ،يُقَالُ لِلنَّبْتِ إِذَا يَبِسَ وَتَفَتَّتَ:رَمِيمٌ وَهَشِيمٌ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: كَالشَّيْءِ الْهَالِكِ الْبَالِي،وَأَصْلُ الْكَلِمَةِ مِنْ رَمَّ الْعَظْمُ إِذَا بَلِيَ،فَهذة الريح لَمْ تُطِعْهُمْ،وَلَمْ يُطِيقُوهَا مِنْ شِدَّةِ هُبُوبِهَا،غَضِبَتْ لِغَضَبِ اللَّهِ،وَقِيلَ:عَتَتْ عَلَى عَادٍ فَقَهَرَتْهُمْ[5]،وحين يستخدم الحق كلمة الريح لا يتكلم عنها إلا للتخريب والتدمير،أما إن تكلم عنها للخير فسبحانه يأتي بكلمة"رياح"؛لأن تعدد اتجاهات الرياح هو الذي يوجد التوازن في الحياة،فإذا أراد الله أن يهلك بالريح جاء بها من جهة واحدة فتصير قوة الريح من ناحية لا تعادلها قوة أخرى للريح من الجهة المقابلة لتتعادل القوتان[6]،كما تحدث القرآن عنهم بقوله:"وَتِلْكَ عَادٌ جَحَدُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْا رُسُلَهُ"هود 59،واسم الإشارة في قوله"وَتِلْكَ عَادٌ"يعود إلى القبيلة أو إلى آثارهم التي خلفوها من بعدهم، فهم قد ذهبوا وبقيت آثارهم،وقيل:وَتِلْكَ عَادٌ إشارة إلى قبورهم وآثارهم،كأنه قال:سيحوا في الأرض فانظروا إليها واعتبروا[7]،وكانت الإشارة للبعيد تحقيرا لهم،وتهوينا من شأنهم بعد أن انتهوا،وبعدوا عن الأنظار والأفكار،وقد كانوا يقولون:من أشد منا

(1)مفاتيح الغيب فخر الدين الرازي،(552/27).
(2)التفسير الوسيط مجموعة من العلماء بإشراف مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر(1103/9).
(3)صحيح البخاري محمد بن إسماعيل البخاري الجعفي،(33/2)،باب قول النبي صلي الله عليه وسلم نصرت.
(4) أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير،أبو بكر الجزائري،(313/2).
(5) تفسير القرطبي،(50/17)،(259/18)
(6) تفسير الشعراوي (4725/8).
(7)الكشاف الزمخشري (ت/ 538هـ)،(405/2).

قوة،فهذه قصة قوم عاد الذين طغوا وبغوا وجحدوا نعمة الله،وعكفوا على عبادة الأصنام،وكذّبوا رسولهم سيدنا هود عليه السلام فكان من نتيجة ذلك أن حل بهم العقاب الشديد الذي قضى عليهم،ولم يبق من آثارهم إلا ديارهم الخالية،وصاروا عبرة لمن يعتبر،وهكذا طويت صفحة أخرى من صحائف المكذبين،وحلت العقوبة بمن كانوا يتعجلونها ويستهزئون بها[1]،ولما بدأ بهؤلاء لأن أمرهم كان أعجب،وقصتهم أنزه وأغرب،ثنى بأقرب الأمم إليهم زماناً وأشبههم بهم شأناً لأنهم أترفوا بما حبوا به من جنات وعيون وزروع ونخل طلعها هضيم،فجعلوا موضع ما لزمهم من الشكر الكفر،واستحبوا العمى على الهدى،مع ما في آيتهم،وهي الناقة،من عظيم الدلالة على القدرة[2]،فالاستكبار عن الحق والغرور بالقوة يؤديان إلى الهلاك،وقصة قوم عاد يجب أن تكون عبرة للأمم،خاصة في ما يتعلق بكفرهم وجحودهم بنعم الله، ولابد من التأمل في آثارهم ،والتي تظل شاهدة على ما حدث لهم،مما يذكر الأجيال القادمة بعاقبة الكفر، وما حل بهم من عقاب بسبب استكبارهم وعصيانهم.

المطلب الثاني: قوم ثمود شهادة على حضارات غابرة: من إعجاز القرآن في علم التاريخ أنه حدثنا عن حضارات لم يكن لأحد علم بها في زمن نزول القرآن،وقد تم اكتشافها حديثاً وجاءت مطابقة للوصف الذي ورد في كتاب الله تعالى،وهناك أمر حدثنا عنه القرآن لم يكن لأحد علم به في ذلك الوقت،وهو وجود حضارة"ثمود"التي طغت فأهلكها الله،وهذه الحضارة تميزت ببناء البيوت في الجبال،وهذه ظاهرة فريدة في الجزيرة العربية،وقد كُشف حديثاً عن هذه الأبنية التي تعود لآلاف السنين،والإعجاز في هذه القصور أن القرآن حدثنا عن هذه الحضارة بكل دقة،وكيف كانوا يبنون القصور وينحتون الجبال ليسكنوا فيها،قال تعالى"وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ

(1)التفسير الوسيط ا.د/محمد سيد طنطاوي،(7/ 228)،(314/5)، تفسير الشعراوي(6519/11)
(2)نظم الدرر فى تناسب الآيات والسور برهان الدين البقاعي(ت/885 هـ)،(417/8)،دار الكتب العلمية، بيروت، 1415هـ ،1995م، ت/عبد الرزاق غالب المهدي

آيَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِي الْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِنْ سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ الْجِبَالَ بُيُوتًا فَاذْكُرُوا آَلَاءَ اللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ"الأعراف: 73،74،وقوله"كَذَّبَتْ ثَمُودُ الْمُرْسَلِينَ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَالِحٌ أَلَا تَتَّقُونَ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ أَتُتْرَكُونَ فِي مَا هَاهُنَا آَمِنِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ وَتَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا فَارِهِينَ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ وَلَا تُطِيعُوا أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ الَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ"الشعراء: 14، 152، وقد روي أنه لما أُهلكت عادٌ عَمَرت ثمودُ بلادَها وخلفوهم في الأرض وكثُروا وعُمِّروا أعماراً طِوالاً حتى أن الرجل كان يبني المسكن المُحْكَم فينهدمُ في حياته فنحتوا البيوتَ من الجبال وكانوا في سعة ورخاءٍ من العيش فعتَوْا على الله تعالى وأفسدوا في الأرض وعبدوا الأوثانَ فبعثَ الله تعالى إليهم صالحاً، وكانوا قوماً عرباً، وصالحٌ من أوساطهم نسباً فدعاهم إلى الله عزَّ وجلَّ فلم يتبعْه إلا قليلٌ منهم مستضعَفين فحذرهم وأنذرهم فسألوه آية فقال أي أيةَ تريدون قالوا تخرج معنا إلى عيدنا في يوم معلومٍ لهم من السنة فتدعو إلهك وندعو آلهتنا فإن استجيب لك اتبعناك وإن استجيب لنا اتبعنا،فقال صالح عليه السلام نعم فخرج معهم ودعَوْا أوثانهم وسألوا الاستجابة فلم تُجبْهم ثم قال سيدهم جندعُ بن عمرو وأشار إلى صخرة منفردة في ناحية الجبل يقال لها الكاثبة أخرِجْ لنا من هذه الصخرةِ ناقةً مخترِجةً جوفاءَ وبراءً،والمخترجة التي شاكلت البخت فإن فعلت صدقناك وأجبناك فأخذ صالح عليه السلام المواثيق لئن فعلتُ ذلك لتؤمِنُن ولتُصدِّقُنّ قالوا نعم فصلى ودعا ربه فتمخضت الصخرة وتمخض النتوج بولدها فانصدعت عن ناقشة عُشَراءَ جوفاء وبراءٍ كما وصفوا لا يعلم ما بين جنبيها إلا الله تعالى وعظماؤهم ينظرون ثم نُتِجت ولداً مثلَها في العظم فآمن به جندع ورهطٌ من

قومه ومنع أعقابهم ناسا من رءوسهم أن تؤمنوا فمكثت الناقة مع ولدها ترعى الشجرَ وتشرب الماءَ[1].

يقول الإمام ابن كثير: فَلَمَّا أَعْطَوْهُ عَلَى ذَلِكَ عُهُودَهُمْ وَمَوَاثِيقَهُمْ قَامَ صَالِحٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَى صِلَاتِهِ وَدَعَا اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ فَتَحَرَّكَتْ تِلْكَ الصَّخْرَةُ ثُمَّ انْصَدَعَتْ عَنْ نَاقَةٍ جَوْفَاءَ وَبْرَاءَ يَتَحَرَّكُ جَنِينُهَا بَيْنَ جنبيها كما سألوا فعند ذلك آمن رئيسهم جُنْدَعُ بْنُ عَمْرٍو وَمَنْ كَانَ مَعَهُ عَلَى أَمْرِهِ[2]،وَكَانَ الَّذِينَ آمَنُوا بِهِ أَرْبَعَةُ آلَافٍ،خَرَجَ بِهِمْ صَالِحٌ إِلَى حَضْرَمَوْتَ،وَسُمِّيَتْ حَضْرَمَوْتَ

لِأَنَّ صَالِحًا عَلَيْهِ السَّلَامُ لَمَّا دَخَلَهَا مَاتَ بِهَا[3]،وكانت الناقة في غاية العظم حتى قال أبو موسى الأشعري:أتيت أرض ثمود فذرعت مصدر الناقة يعني موضع بروكها فوجدته ستين ذراعا،ثم نتجت ولدا مثلها في العظم[4]،وَقِيلَ:كَانَ فِي النَّاقَةِ آيَاتٌ خَمْسٌ خُرُوجُهَا مِنَ الصَّخْرَةِ،وَدُنُوٌّ نِتَاجِهَا عِنْدَ خُرُوجِهَا،وَعِظَمُهَا حَتَّى لَمْ تُشْبِهْهَا نَاقَةٌ،وَكَثْرَةُ لَبَنِهَا حَتَّى يَكْفِيَهُمْ جَمِيعًا،وَقِيلَ: كَانَتْ لَهُ آيَاتٌ غَيْرُ النَّاقَةِ[5]،وَكَانَ قَتْلُهُمُ النَّاقَةَ يَوْمَ الْأَرْبِعَاءِ،فَلَمَّا أَمْسَى أُولَئِكَ التِّسْعَةُ الرَّهْطُ عَزَمُوا عَلَى قَتْلِ صَالِحٍ، وَقَالُوا: إِنْ كَانَ صَادِقًا عَجَّلْنَاهُ قَبْلَنَا،وَإِنْ كَانَ كَاذِبًا أَلْحَقْنَاهُ بِنَاقَتِهِ "قَالُواْ تَقَاسَمُواْ بِاللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُ وَأَهْلَهُ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ"،فلما عزموا على ذلك وتواطئوا عليه وجاؤوا من الليل ليفتكوا بنبي الله،فأرسل اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وَلَهُ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً فَرَضَخَتْهُمْ سَلَفًا وَتَعْجِيلًا قَبْلَ قَوْمِهِمْ،وَأَصْبَحَ ثَمُودُ يَوْمَ الْخَمِيسِ وَهُوَ الْيَوْمُ الْأَوَّلُ مِنْ أَيَّامِ النَّظِرَةِ وَوُجُوهُهُمْ مُصْفَرَّةٌ، كَمَا وَعَدَهُمْ صَالِحٌ عَلَيْهِ

(1) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم (241/3)

(2)تفسير ابن كثير ط العلمية أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (ت/774هـ)، (395/3)،ت/محمد حسين شمس الدين،دار الكتب العلمية،منشورات محمد علي بيضون،بيروت،ط1 ،1419 هـ

(3)البحر المحيط في التفسير (254/8)

(4) غرائب القرآن ورغائب الفرقان،نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي النيسابوري(ت/850هـ) (3/ 276)، ت/ الشيخ زكريا عميرات،دار الكتب العلميه،بيروت،ط1،1416هـ، تفسير ابن عطية(2/ 422)

(5)البحر المحيط في التفسير أبو حيان الأندلسي(ت/745هـ)،(492/6).

السَّلَامُ،وَأَصْبَحُوا فِي الْيَوْمِ الثَّانِي مِنْ أَيَّامِ التَّأْجِيلِ وَهُوَ يَوْمُ الْجُمُعَةِ وَوُجُوهُهُمْ مُحَمَّرَةٌ،وَأَصْبَحُوا فِي الْيَوْمِ الثَّالِثِ مِنْ أَيَّامِ الْمَتَاعِ وَهُوَ يَوْمُ السَّبْتِ وَوُجُوهُهُمْ مُسَوَّدَةٌ،فَلَمَّا أَصْبَحُوا مِنْ يَوْمِ الْأَحَدِ،وَقَدْ تَحَنَّطُوا وَقَعَدُوا يَنْتَظِرُونَ نِقْمَةَ اللَّهِ وَعَذَابَهُ عِيَاذًا بِاللَّهِ مِنْ ذَلِكَ لَا يَدْرُونَ مَاذَا يُفْعَلُ بِهِمْ،وَلَا كَيْفَ يأتيهم العذاب،وأشرقت الشَّمْسُ،جَاءَتْهُمْ صَيْحَةٌ مِنَ السَّمَاءِ وَرَجْفَةٌ شَدِيدَةٌ مِنْ أَسْفَلَ مِنْهُمْ، فَفَاضَتِ الْأَرْوَاحُ وَزَهَقَتِ النُّفُوسُ فِي سَاعَةٍ وَاحِدَةٍ"فَأَصْبَحُواْ فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ"أَيْ صَرْعَى لَا أَرْوَاحَ فِيهِمْ،وَلَمْ يُفْلِتْ مِنْهُمْ أَحَدٌ لَا صَغِيرٌ وَلَا كَبِيرٌ،لَا ذكر ولا أنثى،وَلَمْ يَبْقَ مِنْ ذُرِّيَّةِ ثَمُودَ أَحَدٌ سِوَى صالح عليه السلام ومن تبعه رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ،إِلَّا أَنَّ رَجُلًا يُقَالُ لَهُ أَبُو رِغَالٍ كَانَ لَمَّا وَقَعَتِ النِّقْمَةُ بِقَوْمِهِ مُقِيمًا إِذْ ذَاكَ فِي الْحَرَمِ فَلَمْ يَصِبْهُ شَيْءٌ،فَلَمَّا خَرَجَ فِي بَعْضِ الْأَيَّامِ إِلَى الْحِلِّ جَاءَهُ حَجَرٌ مِنَ السَّمَاءِ فَقَتَلَهُ[1]، وقد ذكرهم القرآن الكريم في كثير من سوره[2]،وإلى جانب أن كثيرًا من الآيات الكريمة قد قرنت قوم عاد بثمود،كما في سورة التوبة وإبراهيم والفرقان وص والنجم والفجر،وقد استدل البعض من كلمات"رجفة" و"صيحة" التي جاءت في القرآن الكريم على أن ثمودًا إنما أصيبوا بكارثة عظيمة،من ثوران البراكين أو من الهزات الأرضية،وربما كان الأمر كذلك،فمنطقة إقامتهم إنما هي واحدة من مناطق الحرارة في شبه الجزيرة العربية[3]، وتعرف ثمود بمدائن صالح إلى اليوم،وفيها من عجيب الآثار بيوت منقورة في الصخور،وكانت ثمود أول من قطع الصخر ونحته،واتخذوا مساكن في الجبال وبيوتا،وقد بعث الله صالحا نبيا لهم،وجعل الناقة آية تصديقه فكذبوه،فأبادهم الله تعالى

(1)مختصر تفسير ابن كثير(33/2).
(2)الأعراف من الآية 7 ـــ 79، وهود من الآية61 ـــ 68،والإسراء الآية59،والشعراء من الآية 141 ـــ 159،النمل إلي الآية 45ـــ 53،سورة ص آية13،فصلت من الآية 17ـــ 18،الذاريات من الآية 43ـــ 45،النجم آية51، القمر من الآية 23 ـــ 32، الحاقة من الآية 4 ـــ 5،الشمس من الآية 11 ـــ 15،الحجر من الآية 80 ـــ 84
(3)دراسات في تاريخ العرب القديم،محمد بيومى مهران،(147/1)،دار المعرفة الجامعية، ط2، مزيدة ومنقحة

بالزلازل الشديدة العظيمة[1]،وقيل:هم أَصْحَاب الْحجر قوم ثَمُود وَهَؤُلَاء قوم صَالح عَلَيْهِ السَّلَام، والْحجر،بِكَسْر الْحَاء وَسُكُون الْجِيم: بلد بَين الشَّام والحجاز،وَعَن قَتَادَة فِيمَا ذكره الطَّبَرِيّ: الْحجر اسْم الْوَادي الَّذِي كَانُوا بِهِ، وَعَن الزُّهْرِيّ:هُوَ اسْم مدينتهم[2].

يقول صاحب التفسير المنير: وكانت ثمود قوم صالح بعد عاد،ورثوا أرضهم وديارهم،وكانت مساكنهم بالحجر بين الحجاز والشّام،إلى وادي القرى وما حوله،ومدائن صالح ظاهرة إلى اليوم، تعرف بـ "فجّ النّاقة" وحجر ثمود في الجنوب الشرقي من أرض مدين،وهي مصاقبة لخليج العقبة[3]،وهؤلاء الذين ذكرناهم وهم عاد وثمود الذين تجاوزوا في بلادهم الحد في الظلم والجور،وتمردوا وعتوا،واغتروا بقوتهم، وتكرار قصص هذه الأمم المدمرة للتذكير بها،والاتعاظ والاعتبار بها[4]،وقد قال تعالي"وَثَمُودَ الَّذِينَ جابُوا الصَّخْرَ بِالْوادِ"،هُمْ قَوْمُ صَالِحٍ سُمُّوا بِاسْمِ جَدِّهِمْ ثَمُودَ بْنِ عَابِرِ بْنِ إِرَمَ بْنِ سَامِ بْنِ نُوحٍ،وقيل إنما سُمُّوا بذلك لقلة مائهم من الثمد وهو الماء القليل[5]، وَمَعْنَى جَابُوا الصَّخْرَ: قَطَعُوهُ،وَالْجَوْبُ الْقَطْعُ،وَمِنْهُ جَابَ الْبِلَادَ: إِذَا قَطَعَهَا،وَمِنْهُ سُمِّيَ جَيْبُ الْقَمِيصِ لِأَنَّهُ جَيْبٌ،أَيْ: قَطْعٌ،قَالَ الْمُفَسِّرُونَ: أَوَّلُ مَنْ نَحَتَ الْجِبَالَ وَالصُّخُورَ ثَمُودُ،فَبَنَوْا مِنَ الْمَدَائِنِ أَلْفًا وَسَبْعَمِائَةِ مَدِينَةٍ كُلُّهَا من الحجارة،ومنه قوله سبحانه"وَتَنْحِتُونَ الْجِبالَ بُيُوتاً"الشعراء149وَكَانُوا يَنْحِتُونَ الْجِبَالَ وَيَنْقُبُونَهَا

(1)تفسير الخازن لباب التأويل في معاني التنزيل علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشيحي أبو الحسن، المعروف بالخازن(ت/741هـ)،(425/4)،تصحيح:محمد علي شاهين،دار الكتب العلمية، بيروت،ط1، 1415 هـ،نشر المحاسن اليمانية عبد الرحمن بن علي بن محمد الشيباني الزبيدي الشافعي، وجيه الدين، المعروف بابن الديبع (ت/944هـ)،(ص97)،دار الفكر، دمشق، البحر المحيط في التفسير(472/10)

(2) عمدة القاري شرح صحيح البخاري أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين الغيتابى الحنفى بدر الدين العينى (ت/855هـ)،(191/4)،دار إحياء التراث العربي، بيروت

(3)التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج،د وهبة بن مصطفى الزحيلي،(270/8)،دار الفكر المعاصر دمشق،ط2، 1418 هـ

(4)التفسير الوسيط للزحيلي(2872/3)

(5)تفسير أبي السعود(241/3)

وَيَجْعَلُونَ تِلْكَ الْأَنْقَابَ بُيُوتًا يَسْكُنُونَ فِيهَا[1]،وهؤلاء القوم أعطاهم الله قوة حتى صاروا يخرقون الجبال والصخور العظيمة ويصنعون منها بيوتاً ولهذا قال"جابوا الصخر بالواد" أي: وادي ثمود،وهو معروف،وهؤلاء أيضاً فعل الله بهم ما فعل من العذاب والنكال حيث قيل لهم تمتعوا في داركم ثلاثة أيام،ثم بعد الثلاثة الأيام أخذتهم الصيحة والرجفة فأصبحوا في ديارهم جاثمين،فعلينا أن نعتبر بحال هؤلاء المكذبين الذين صار مآلهم إلى الهلاك والدمار،وليُعلم أن هذه الأمة لن تُهلك بما أهلكت به الأمم السابقة بهذا العذاب العام،فإن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم سأل الله تعالى أن لا يهلكهم بسنة بعامة[2].

والمعروف أن القصص في القرآن مرتب بحسب الترتيب الزمني لكن قوله في سورة الحاقة " كذبت ثمود وعاد بالقارعة"،والمعروف أيضا أن عادًا قبل ثمود دائما في المصحف الشريف، فلماذا تقدمت ثمود على عاد في السورة الكريمة،والسبب أنه تعالى ابْتُدِئَ بِذِكْرِ ثَمُودَ لِأَنَّ الْعَذَابَ الَّذِي أَصَابَهُمْ مِنْ قَبِيلِ الْقَرْعِ إِذْ أَصَابَتْهُمُ الصَّوَاعِقُ الْمُسَمَّاةُ فِي بَعْضِ الْآيَاتِ بِالصَّيْحَةِ،وَالطَّاغِيَةُ:الصَّاعِقَةُ فِي قَوْلِ ابْنِ عَبَّاسٍ وَقَتَادَةَ: نَزَلَتْ عَلَيْهِمْ صَاعِقَةٌ أَوْ صَوَاعِقُ فَأَهْلَكَتْهُمْ،لِأَن مَنَازِلَ ثَمُودَ كَانَتْ فِي طَرِيقِ أَهْلِ مَكَّةَ إِلَى الشَّامِ فِي رِحْلَتِهِمْ فَهُمْ يَرَوْنَهَا،"فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خاوِيَةً بِما ظَلَمُوا"النَّمْل 52،وَلِأَنَّ الْكَلَامَ عَلَى مَهْلِكِ عَادٍ أَنْسَبُ فَأُخِّرَ لِذَلِكَ أَيْضًا[3].

وعلل الإمام البقاعي تقديم ذكر ثمود علي ذكر عاد في سورة الحاقة بقوله: وتقديمهم أيضاً من حيث إن بلادهم أقرب إلي قريش،وواعظ القرب أكبر[4]،وقيل: وقد استهل الحديث بذكر ثمود فبدأ بأشد القبائل تكذيباً بالبعث لكون ناقتهم التي أرسلها إليهم

(1)فتح القدير للشوكاني (530/5).
(2) تفسير العثيمين جزء عم محمد بن صالح بن محمد العثيمين(ت/1421هـ)،(ص192)،إعداد وتخريج:فهد بن ناصر السليمان،دار الثريا،الرياض،ط2، 1423هـ، 2002 م،والحديث أخرجه الإمام أحمد في المسند(278/5)
(3)التحرير والتنوير(116/29)
(4) نظم الدرر فى تناسب الآيات والسور برهان الدين البقاعي(ت/885 هـ) (121/8).

كانت أول دليل على القدرة عليه ثم عطف عليها بـــ عاد[1]،وقد يكون من الجـــواب أيضا والله تعالى أعلم بمراده: إن التقديم والتأخير روعي فيه السرعة في الهـــلاك، فإن الهلاك بالطاغية أسرع بكثير من الهلاك بالريح،ولذلك فصّل الكلام في الـــريح ونص على أنها كانت طيلة سبع ليال وثمانية أيام[2].

وقد تكرر ذكر تكذيب ثمود في القرآن أكثر من ذكر تكذيب عاد،قال تعالى:" كَـــذَّبَتْ ثَمُودُ الْمُرْسَلِينَ"الشعراء 141،" كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَأَصْحَابُ الرَّسِّ وَثَمُودُ"ق12،" كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِالنُّذُرِ" القمر23،" كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَاهَا"الشمس 11، وفي ذكر تكذيب عاد قال تعالى "كَذَّبَتْ عَادٌ الْمُرْسَلِينَ الشعراء123،"كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَفِرْعَـــوْنُ ذُو الْأَوْتَادِ"ص12،"كَذَّبَتْ عَادٌ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ القمر18.

والله عز وجل ما قص علينا من أنباء الأمم الخالية،إلا لكـــي نأخـــذ منهـــا العظـــة والاعتبار،فإذا شهدنا بأعيننا ديارهم التي نزل فيها سخط المولى عز وجل وعذابـــه الأليم، وجب أن تكون الموعظة أشد،والاعتبار أعمق،والخوف من سخط المـــولى- سبحانه- أبلغ، ولهذا تسجى النبي صلوات الله وسلامه عليه بثوبه لما مـــر بالـــديار الملعونة المسخوطة واستحث خطا راحلته[3]

فحين يرى الإنسان مدائن صالح منحوتة في الجبل فهي فرصة لأن يتأمـــل عظمـــة الحق في تنبيه الخلق إلى ما يفيدهم وهي بالفعل من نعم الله، ويقول سبحانه"فاذكروا آلآءَ الله وَلاَ تَعْثَوْا فِي الأرض مُفْسِدِينَ"الأعراف: 74،فما زالت آثار قوم ثمود علـــي وجه الخصوص موجودة حتى الأن،فلو تم تدمير هذة الآثار فكيف يتبين لنا حقيقـــة وجودهم من عدمه،وقد قال تعالى "وَعَاداً وَثَمُوداْ وَقَد تَّبَيَّنَ لَكُم مِّن مَّسَاكِنِهِمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشيطان أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السبيل وَكَانُواْ مُسْتَبْصِرِينَ"العنكبوت: 38،اى: فانظروا

---

(1)التفسير البياني للتراكيـــب القرآنيـــة ذوات الـــدلالات الاحتماليـــة ، نـــوار محمـــد إســـماعيل الحيالي(ص103)،بإشراف: د/عماد عبد يحيى الحيالي،محرم 1425هـــ، شباط 2004 م.

(2) أرشيف ملتقى أهل التفسير، مصطفى فوضيل، سر تقديم ثمود على عاد في سورة الحاقة دون ما سواها – المكتبة الشاملة الحديثةالرابط:-https:// maktaba.org/book/31871/9814#p30

(3)غزوة تبوك دروس وعبر(ص 36) أمير بن محمد المدري،المصدر: الشاملة الذهبية

إلى مساكنهم الباقية لتدلكم على ما حدث لهم،إذن فصراع الحق والباطل قد تقدم ووقع في أمم قد سبقتكم وبقيت لها مساكن،فمن شاء أن يذهب إليها ليتأكد فليذهب،ولا تزال مدائن صالح،ولا تزال هناك آثار عاد،وكل مكان فيه أثر من الآثار،ولذلك يوضح الحق: فإن كنتم تريدون التأكد من ذلك فأنا قد أخبرت،ومن آمن بي فليصدق خبري، ولغير المؤمن ولمن يريد اطمئنان قلبه يقول سبحانه"فَسِيرُواْ فِي الأرض فانظروا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ المكذبين"النحل 36[1].

ووردت أحاديث تصرح بأن الرسول صلى الله عليه وسلم مر علي ثمود وهو في طريقه إلي غزوة تبوك[2]،ومنها ما روي عَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ لَمَّا مَرَّ النَّبِيُّ ــ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْحِجْرِ قَالَ لَا تَدْخُلُوا مَسَاكِنَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ أَنْ يُصِيبَكُمْ مَا أَصَابَهُمْ إِلَّا أَنْ تَكُونُوا بَاكِينَ ثُمَّ قَنَّعَ رَأْسَهُ وَأَسْرَعَ السَّيْرَ حَتَّى أَجَازَ الْوَادِيَ[3]،معنى هَذَا الحَدِيث إن الدَّاخِل فِي ديار الْقَوْم الَّذين أهلكوا بخسف وَعَذَاب،إِذا دَخلهَا فَلم يجلب عَلَيْهِ مَا يرى من آثَار مَا نزل بهم بكاء،وَلم يبْعَث عَلَيْهِ حزنا إِمَّا شَفَقَة عَلَيْهِم وَإِمَّا خوفًا من حُلُول مثلهَا بِهِ،فَهُوَ قاسي الْقلب قَلِيل الْخُشُوع غيرمستشعر للخوف والوجل،فَلَا يَأْمَن إِذا كَانَ حَاله كَذَلِك أَن يُصِيبهُ مَا أَصَابَهُم،ودلالة على أن مساكن هؤلاء لا تسكن بعدهم ولا تتخذ وطناً لأن المقيم المستوطن لا يمكنه أن يكون دهره باكياً أبداً وقد نهى أن تدخل دورهم إلا بهذه الصفة وفيه المنع من المقام بها والاستيطان[4]،وَفِيهِ الْحَثُّ عَلَى الْمُرَاقَبَةِ عِنْدَ الْمُرُورِ بِدِيَارِ الظَّالِمِينَ وَمَوَاضِعِ الْعَذَابِ

(1) تفسير الشعراوي(1767/3)،(4220/7).
(2) كانت غزوة تبوك سنة تسع انظر:تفسير القاسمي،(136/5).
(3)التفسير الوسيط لطنطاوي(237/7)،صحيح البخاري،(515/10)، باب نزول النبي صلي الله عليه وسلم الحجر،ت/محمد فؤاد عبد الباقي،دار السلام،الرياض،ط1ـــــ1419ه(7/6)،ت/ محمد زهير بن ناصر الناصر.
(4)الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري محمد بن يوسف بن علي بن سعيد، شمس الدين الكرماني(ت/ 786هـ)،(95/4)،دار إحياء التراث العربي،بيروت،لبنان،ط1: 1356هـ، 1937م،ط2 1401هـ ،1981م، عمدة القاري شرح صحيح البخاري أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين الغيتابى الحنفى بدر الدين العينى(ت/855هـ)،(191/4)،دار إحياء التراث العربي، بيروت

وَمِثْلُهُ الْإِسْرَاعُ فِي وَادِي مُحَسِّرٍ لِأَنَّ أَصْحَابَ الْفِيلِ هَلَكُوا هُنَاكَ فَيَنْبَغِي لِلْمَارِّ فِي مِثْلِ هَذِهِ الْمَوَاضِعِ الْمُرَاقَبَةُ وَالْخَوْفُ وَالْبُكَاءُ وَالِاعْتِبَارُ بِهِمْ وَبِمَصَارِعِهِمْ وَأَنْ يَسْتَعِيذَ بِاَللَّهِ مِنْ ذَلِكَ[1]،ووجه الخوف هنا أن البكاء يبعثه على التفكّر والاعتبار،فكأنه أمرهم بالتفكّر في أحوال توجب البكاء من تقدير الله على أولئك بالكفر مع تمكينه لهم في الأرض وإمهالهم مدة طويلة،ثم إيقاع نقمه بهم وشدة عذابه،فمن مرّ عليهم ولم يتفكّر فيما يوجب البكاء اعتبارًا بأحوالهم،فقد شابههم في الإهمال ودلّ على قساوة قلبه وعدم خشوعه فلا يأمن أن يجرّه ذلك إلى العمل بمثل أعمالهم فيصيبه ما أصابهم قاله ابن حجر،ومن قبله الخطابي[2]، فَكَأَنَّهُ أَمرهم فِي التفكر فِي أَحْوَال توجب الْبكاء، فَمن مر على مثل أُولَئِكَ وَلم يتفكر فِيمَا يُوجب الْبكاء شابههم فِي إهمالهم التفكر،فَلم يُؤمن عَلَيْهِ نزُول الْعقَاب[3]، وَيُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ أَنْ يُصِيبَ مُنَافِقِيكُمْ عَيْنَ مَا أَصَابَهُمْ فَعَمَّمَ الْحُكْمَ بِالتَّخْوِيفِ تَسَتُّرًا عَلَيْهِمْ[4]، فمرور النبي صلى الله عليه وسلم بديار قوم سيدنا صالح عليه السلام هو بمثابة الشرح الوافي للمسلمين في كيفية التعامل مع آثار السالفين لاسيما وأن الأحاديث التى وردت فى هذا الشأن كثيْرة ؛وجلُها فى البخارى ومسلم، فديار قوم سيدنا صالح عليه السلام بمثابة متحف مفتوح فيه آثار القوم المتعددة من الطرق؛ والآطام،والآبار،والآيات الدالة على حياة القوم وأحوالهم ففى الطرق التى كانت تمشى فيها ناقة سيدنا صالح عليه السلام ذهابا وإيابا؛جاء حديث النبي صلي الله عليه وسلم عَنْ جَابِرٍ،قَالَ: لَمَّا مَرَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى

(1)فتح المنعم شرح صحيح مسلم،الأستاذ الدكتور موسى شاهين لاشين،(586/10) دار الشروق،ط1،لدار الشروق، 1423هـ، 2002 م،شرح النووي على مسلم المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (ت/ 676هـ)، (111/18)،دار إحياء التراث العربي ،بيروت،ط2،1392هـ .

(2)شرح القسطلاني = إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري أحمد بن محمد بن أبى بكر بن عبد الملك القسطلاني القتيبي المصري، أبو العباس، شهاب الدين (ت/ 923هـ)،(434/1)،المطبعة الكبرى الأميرية، مصر،ط7،1323هـ

(3)الميسر من أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم علي بن نايف الشحود،(260/5)،ط2،الشاملة الذهبية،عمدة القاري شرح صحيح البخاري (191/4)

(4)مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح علي بن (سلطان) محمد، أبو الحسن نور الدين الملا الهروي القاري (ت/ 1014هـ)،(3200/8)،دار الفكر، بيروت،لبنان،ط1، 1422هـ، 2002م

اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْحِجْرِ قَالَ"لَا تَسْأَلُوا الْآيَاتِ،وَقَدْ سَأَلَهَا قَوْمُ صَالِحٍ، فَكَانَتْ تَرِدُ مِنْ هَذَا الْفَجِّ،وَتَصْدُرُ مِنْ هَذَا الْفَجِّ،فَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ،فَعَقَرُوهَا،وَكَانَتْ تَشْرَبُ مَاءَهُمْ يَوْمًا،وَيَشْرَبُونَ لَبَنَهَا يَوْمًا،فَعَقَرُوهَا،فَأَخَذَتْهُمْ صَيْحَةٌ أَهْمَدَ اللَّهُ مَنْ تَحْتَ أَدِيمِ السَّمَاءِ مِنْهُمْ،إِلَّا رَجُلًا وَاحِدًا كَانَ فِي حَرَمِ اللَّهِ،قِيلَ: مَنْ هُوَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: هُوَ أَبُو رِغَالٍ، فَلَمَّا خَرَجَ مِنَ الْحَرَمِ أَصَابَهُ مَا أَصَابَ قَوْمَهُ[1]،فالنبي صلي الله عليه وسلم في هذا الحديث أشار إلى موضع ورود الناقة وصدورها كدلالة عملية لقصة سيدنا صالح عليه السلام ولَم يأمر بتغييْر معالمها،أوغلقها،أو تسويتها بل أمر بالتصديق،والبعد عن اللجاج والتكذيب،واجتناب سؤال الآيات سؤالا فيه التكذيب والريب،وأيضاًعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ دِينَارٍ،عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا،أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ،لَمَّا نَزَلَ الحِجْرَ فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ، أَمَرَهُمْ أَنْ لاَ يَشْرَبُوا مِنْ بِئْرِهَا،وَلاَ يَسْتَقُوا مِنْهَا،فَقَالُوا: قَدْ عَجَنَّا مِنْهَا وَاسْتَقَيْنَا،فَأَمَرَهُمْ أَنْ يَطْرَحُوا ذَلِكَ العَجِينَ،وَيُهَرِيقُوا ذَلِكَ المَاءَ،وَيُرْوَى عَنْ سَبْرَةَ بْنِ مَعْبَدٍ،وَأَبِي الشُّمُوسِ:أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَمَرَ بِإِلْقَاءِ الطَّعَامِ،وفي حديث ابن عمر أمرهم أَنْ يُهَرِيقُوا مَا اسْتَقَوْا مِنْ بِئْرِهَا،وَأَنْ يَعْلِفُوا الإِبِلَ العَجِينَ،وَأَمَرَهُمْ أَنْ يَسْتَقُوا مِنَ البِئْرِ الَّتِي كَانَتْ تَرِدُهَا النَّاقَةُ[2]، فهذا الباب بمجموع الروايات التي ساقها فيه هي أصح وأكمل ما ورد في القضية،ففيه إثبات نزول النبي صلي الله عليه وسلم بالحجر والنهي عن الدخول في مساكن المعذبين إلا أن يكونوا باكين،وفيه أمره لهم بعدم الشرب والاستقاء من الآبار

(1)مسند أحمد مخرجا أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل هلال بن أسد الشيباني(ت/241هـ)،(66/22)،ت/ شعيب الأرنؤوط ،عادل مرشد، وآخرون،إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة،ط1، 1421هـ، 2001 م، المسند، مسند جابر بن عبد الله(66/22)،ط14202 ه، 1999 م،ت/ الأرناؤوط وآخرون وقال المحققون :حديث قوي، وهذا إسناد على شرط مسلم،وقال ابن كثير:وهذا الحديث ليس في شيء من الكتب الستة وهو على شرط مسلم،انظر: تفسير ابن كثير/ دار الفكر(278/2)، تفسير الطبري(537/12)،وذكره الحافظ ابن حجر في الفتح،المستدرك على الصحيحين للحاكم أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نعيم بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري المعروف بابن البيع (ت/405هـ)،(351/2)،ت/ مصطفى عبد القادر عطا،دار الكتب العلمية، بيروت،ط1،1411،1990

(2)صحيح البخاري (149/4)،(148/4) باب قوله "وإلي ثمود"

إلا من بئر الناقة،وأمرهم أن يعلفوا الإبل من العجين،وموضع الاستدلال من الحديث هو إثبات كون النبي صلى الله عليه وسلم نزل بأصحابه الحجر،وأنه لو كان في نزوله حرج أو أنه متأثر بنزول السخط كما يظن بعض الناس لَمَا نزل النبي صلى الله عليه وسلم فيه بأصحابه،وإذاً لأوجب الله على نبيه صالح والمؤمنين معه بأن يهاجروا عنه،فإثبات نزول النبي صلى الله عليه وسلم فيه بأصحابه واستقرار نبي الله صالح والمؤمنين فيه،يتبين بهذين الدليلين صحة النزول فيه بدليل الكتاب والسنة بدون كراهة لاعتبار أن أرض الحجر هي طرف من أرض الله التي خلقها الله لعباده وبسطها لهم لاستقرارهم عليها وانتفاعهم بها وتمتعهم بخيراتها وأنواع ثمراتها،وأودع فيها الماء والمرعى وجميع ما يحتاج إليه الأنام،فقد ترجم له البخاري فقال: باب نزول النبي بالحجر،فنزول رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه بأصحابه دليل على إباحة نزوله إلى يوم القيامة[1]، فالنبي صلى الله عليه وسلم أَمَرَهُمْ أَنْ يَسْتَقُوا مِنَ الْبِئْرِ الَّتِي كَانَتْ هُنَاكَ تَرِدُهَا النَّاقَةُ،وَفِي الْحَدِيثِ فَوَائِدُ مِنْهَا النهى عن استعمال مياه بئار الحجر الا بئر النَّاقَةِ وَمِنْهَا لَوْ عَجَنَ مِنْهُ عَجِينًا لَمْ يَأْكُلْهُ بَلْ يَعْلِفُهُ الدَّوَابَّ وَمِنْهَا أَنَّهُ يَجُوزُ عَلْفُ الدَّابَّةِ طَعَامًا مَعَ مَنْعِ الْآدَمِيِّ مِنْ أَكْلِهِ وَمِنْهَا مُجَانَبَةُ آبَارِ الظَّالِمِينَ وَالتَّبَرُّكُ بِآبَارِ الصالحين(2)،فلَم يأمر بتغوير هذه الأبئار أو ردمها أو تغييْب معالمه بل أبقاها كما هي؛ ثم شرع في بيان حكم الشرب والعجن منها ؛ فنهى عن استعمال مياه بئار الحجر إلا بئر الناقة تبركا بآبار الصالحين، ففعل النبي، صلى الله عليه وسلم ،فيه أكبر دلالة على بقاء هذه الآثار،وعدم تغويرها أو تغيْها[3]،وبذلك انطوت صفحة أولئك الظالمين من قوم صالح عليه السلام،ومن أبرز العبر والعظات التي نأخذها من قصة صالح مع قومه كما وردت في هذه السورة الكريمة: أن النفوس إذا

(1)مجموعة رسائل الشيخ عبد الله بن زيد آل محمود رحمه الله تعالى(حجر ثمود ليس حجراً محجوراً)،(ص6،7)، ط3، الدوحة ١٤٣٦ه، ٢٠١٥ م، طبعة جديدة بصف وإخراج جديد

(2)شرح النووي على مسلم، (112/18).

(3)شرح القسطلاني = إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري أحمد بن محمد بن أبى بكر بن عبد الملك القسطلاني القتيبي المصري، أبو العباس، شهاب الدين (ت/ 923هـ)،(434/1)،المطبعة الكبرى الأميرية، مصر،ط7،1323هـ

انطمست، والعقول إذا انتكست، تعجب مما لا عجب فيه وتستنكر ما هو حق وصدق، وتسيء ظنها بالشخص الذي كان بالأمس القريب موضع رجائها وثقتها، لأنه أتاهم بما لم يألفوه، حتى ولو كان ما أتاهم به فيه سعادتهم وهدايتهم،فصالح- عليه السلام- كان مرجوا في قومه قبل أن يكون نبيا، فلما صار نبيا وبلغهم ما أرسله الله به، خاب أملهم فيه، وساء ظنهم به، وجاهروه بالعداوة والعصيان، مع أنه أتاهم بما يسعدهم[1]

الخاتمة وتشمل أهم النتائج

الحمد لله الذي بنعمت تتم الصالحات،وبرحمته تتنزل البركات،وبعفوه تغفر المعاصي والزلات،الحمد لله الذي أعانني ووفقني لإتمام هذا البحث،ويسّر لي أمـــره بتـــذليل الصعوبات،ثم الصلاة والسلام على الرحمة المهداة والنعمة المسداة، المبعوث لإخراج العباد من ظلام الجهل إلى نور العلم،وبعد هذة الجولة في رحاب كتـــاب الله،وبعـــد جلسة على مائدة القرآن وخوض في بعض آياته حول مفهوم آثار الحضارات القديمة في ضوء آيات القرآن،توصل الباحث إلى عدة نتائج منها:

1ـــ في القرآن الكريم لا قيمة للآثار المادية،ولا لأي حضارة إذا لم تسر معها جنبًا إلى جنب حضارة إيمانية وأخلاقية ترتكز إلى أوامـــر الله وتشـــريعاته، فالإنســـان مستخْلَف في الأرض ومكلَّف بعمارتها وفْق شرْع الله،وهذا الاستخلاف ليس تشريفًا فقط بل هو تكليف وتحميل للأمانة التي سيثاب إن أداها وسيعاقب إن فرط فيها.

2ـــ ويوضح البحث أن الآثار التاريخية إرث إنساني يجب المحافظة عليه وحمايته من عبث وفساد وعدوان التنظيمات المتطرفة، محذرًا من الدعوات المتطرفة التـــي تدعو إلى القضاء على الآثار بدعاوى واهية، لافتًا إلى أن أصحاب تلك الدعاوى لا

(1)التفسير الوسيط لطنطاوي (237/7)

يدركون أنهم بذلك يضيعون حقيقة الحث على السير والنظـــر للاتعـــاظ والاعتبـــار وأيضا القضاء على الأدلة المحسوسة الشاهدة بأخبار السابقين.

3ـــــ لابد وأن نعلم أن الحضارات الإنسانية ليست ملكاً لأمة بعينها،ولا هي وقـــف علي جماعة من الناس لأنها صراح هائل قد أسهمت فيه كل أمة بنصيب، وأن الترف آفة تمحق الحضارات،وتأتي علي بنيانها من القواعد،ولكن هناك حضارة واحدة تظل مزدهرة ومتألقة هي حضارة القرآن الكريم .

4ـــــ القرآن الكريم لم يحث الناس علي أخذ العظة والعبرة من التاريخ المدون فـــي الكتب وفقط، بل حثهم علي أخذ العظة والعبرة من خلال النظر والسير لرؤية آثـــار الأمم السابقة

وفي الأخير أسأل الله تعالي القبول،فهذا بحثْي المتواضع بذلت فيـــه غايـــة الوســـع ومنتهى الجهد، وإن كل عمل بشري لابد أن يعتًيريه النقص،ولا يخلو من الأخطاء والهفوات، فلا كمال إلا لله وحده،فالله أسأل أن يتقبله خالصا لوجه الكريم وما توفيقي إلا بالله علي توكلت وإليه أنيب، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، والصـــلاة والسلام الكاملين الدائمين المتلازمين على أفضل الرسل وخاتم النبيين وسيد المرسلين سيدنا محمد –صلى الله عليه وسلم –تسليمً كثيرا.

المراجع

القرآن الكريم جل من أنزله

كتب التفسير

ـــــ أنوار التنزيل وأسرار التأويل ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي (ت/685هـ)، ت/محمد عبد الرحمن المرعشلي،دار إحياء التراث العربي،بيروت،ط1، 1418هـ.

ـــــ أرشيف ملتقى أهل التفسير،مصطفى فوضيل، سر تقديم ثمود على عاد في سورة الحاقة دون ماسواها – المكتبة الشاملة الحديثةالرابط:-https://al-maktaba.org/book/31871/9814#p30

ـــــ إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى (ت/982هـ)،دار إحياء التراث العربي، بيروت،ترقيم الكتاب موافق للمطبوع

ـــــ أيسر التفاسير للجزائري جابر بن موسى بن عبد القادر بن جابر أبو بكر الجزائري،مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة،السعودية،ط5، 1424هـ/2003م

ـــــ أوضح التفاسير محمد محمد عبد اللطيف بن الخطيب(ت/1402هـ)، المطبعة المصرية ومكتبتها،ط6، رمضان 1383هـ، فبراير 1964م

ـــــ تفسير الطبري جامع البيان عن تأويل آي القرآن محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبي جعفر الطبري (ت/310هـ)، ت/ الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات الإسلامية بدار هجر الدكتور عبد السند حسن يمامة،دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان،ط1، 1422 هـ، 2001 م، ت/ أحمد محمد شاكر،الناشر: مؤسسة الرسالة،ط1، 1420هـ، 2000م.

ـــــ تفسير القرطبي أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي(ت/671هـ) ت/أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش،دار الكتب المصرية، القاهرة،ط2، 1384هـ، 1964م، ت/هشام سمير البخاري، دار عالم الكتب،الرياض،المملكة العربية السعودية،الطبعة: 1423 هـ/2003م.

ـــــ تفسير القرآن الحكيم "تفسير المنار"،محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين بن منلا علي خليفة القلموني الحسيني(ت/1354هـ)، الناشر/الهيئة المصرية العامة للكتاب،سنة النشر،1990م

ـــــ الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله(ت/538هـ)،دار الكتاب العربي، بيروت،ط3، 1407هـ.

ـــــ تفسير ابن كثير ط العلمية أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي(ت/774هـ)،ت/ محمد حسين شمس الدين،دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون، بيروت،ط1 - 1419 هـ

ـــــ مختصر تفسير ابن كثير "اختصار وتحقيق" محمد علي الصابوني،دار القرآن الكريم، بيروت، لبنان،ط7، 1402هـ 1981م

ـــــ مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري(ت/606هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت،ط3،1420هـ،(ن موقع التفاسير بترقيم الشاملة آليا)، المصدر: الشاملة الذهبية

ـــــ روح المعـــاني شـــهاب الـــدين محمـــود بـــن عبـــد الله الحســـيني الألوسي(ت/1270هـــ)، ت/علـــي عبـــد البـــاري عطيـــة،دار الكتـــب العلميـــة ، بيروت،ط1، 1415هـــ.

ـــــ التحرير والتنوير "تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيـــد» محمـــد الطـــاهر بـــن محمـــد بـــن محمـــد الطـــاهر بـــن عاشـــور التونسي(ت/1393هـــ)، الدار التونسية للنشر، تونس،سنة النشر: 1984هـــ

ـــــ البحر المحيط في التفسير أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوســـف بـــن حيان أثير الدين الأندلسي(ت/745هـــ)، ت/صـــدقي محمـــد جميـــل، دار الفكـــر، بيروت،الطبعة 1420هـــ.

ـــــ البحر المديد في تفسير القرآن المجيد أبو العباس أحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة الحسني الأنجري الفاسي الصوفي(ت/1224هـــ)، ت/أحمد عبد الله القرشـــي رسلان،الناشر: الدكتور حسن عباس زكي، القاهرة،الطبعة: 1419هـــ

ـــــ تفسير الشعراوي محمد متولي الشعراوي(ت/ 1418هـــ)، الناشر/مطابع أخبار اليوم

ـــــ التفسير الوسيط مجموعة من العلماء بإشـــراف مجمـــع البحـــوث الإســـلامية بالأزهر،الناشر: الهيئة العامـــة لشـــئون المطـــابع الأميريـــة،ط1،(1393 هـــــ = 1973م)(1414 هـــ = 1993م)

ـــــالتفسير الوسيط للقرآن الكريم محمد سيد طنطاوي دار نهضة مصـــر للطباعـــة والنشر،الفجالة، القاهرة،ط1، الكتاب موافق للمطبوع، وهو ضـــمن خدمـــة مقارنـــة التفاسير،تاريخ النشر أجزاء 1، 3/ يناير1997،ج4/ يوليو1997،ج5/ يونيو1997

ـــــ زاد المسير في علم التفسير جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علـــي بـــن محمد الجوزي (ت/597هـــ)، ت/عبـــد الـــرزاق المهـــدي،دار الكتـــاب العربـــي، بيروت،ط1 1422 هـــ.

ـــــ زاد المعاد في هدي خير العباد محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (ت/751هـ)، مؤسسة الرسالة، بيروت، مكتبة المنار الإسلامية، الكويت،ط27، 1415هـ /1994م

ـــــ مدارك التنزيل وحقائق التأويل أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين النسفي (ت/710هـ)،حققه وخرج أحاديثه/ يوسف علي بديوي، وقدم له/محيي الدين ديب مستو،دار الكلم الطيب، بيروت،ط1، 1419هـ، 1998 م

ـــــ معالم التنزيل في تفسير القرآن محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي(ت/510هـ)، ت/ عبد الرزاق المهدي،دار إحياء التراث العربي، بيروت،ط1،1420هـ

ـــــ تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن الشيخ العلامة محمد الأمين بن عبد الله الأرمي العلوي الهرري الشافعي، مراجعة:د/ هاشم محمد علي بن حسين مهدي،دار طوق النجاة، بيروت،لبنان،ط1،1421هـ،2001م.

ـــــ تفسير الخازن لباب التأويل في معاني التنزيل علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشيحي أبو الحسن، المعروف بالخازن(ت/741هـ)،تصحيح: محمد علي شاهين،دار الكتب العلمية،بيروت،ط1، 1415هـ.

ـــــ مراح لبيد لكشف معنى القرآن المجيد محمد بن عمر نووي الجاوي البنتني إقليما، التاري بلدا (ت/ 1316هـ)، ت/ محمد أمين الصناوي،دار الكتب العلمية، بيروت،ط1،1417هـ.

ـــــ تفسير المراغي أحمد مصطفى المراغي،دار إحياء التراث العربي للطباعة والنشر والتوزيع،ط2،تاريخ النشر/1985م، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي بمصر،ط1،1365هـ 1946م

ـــــ فتح القدير للشوكاني محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني(ت/1250هـ)، دار ابن كثير،دار الكلم الطيب،دمشق، بيروت، ط1، 1414هـ

ـــــ تفسير ابن عرفة النسخة الكاملة محمد بن محمد ابن عرفة الورغمي التونسي المالكي، أبو عبد الله (ت/803هـ)،جلال الأسيوطي،دار الكتب العلمية، بيروت،لبنان،ط1،2008م.

ـــــ غرائب القرآن ورغائب الفرقان،نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي النيسابوري (ت/850هـ)، ت/ الشيخ زكريا عميرات،دار الكتب العلميه، بيروت،ط1 ، 1416هـ.

ـــــ التفسير الوسيط للزحيلي د وهبة بن مصطفى الزحيلي،دار الفكر، دمشق،ط1، 1422هـ

ـــــ التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج،د وهبة بن مصطفى الزحيلي، دار الفكر المعاصر، دمشق،ط2، 1418هـ

ـــــ التفسير الواضح الحجازي، محمد محمود حجازي،دار الجيل الجديد،بيروت،ط10،1413هـ

ـــــ تفسير النهر الماد من البحر المحيط أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي(ت/745هـ)، الشاملة الذهبية.

ـــــ التفسير والمفسرون أساسياته واتجاهاته ومناهجه في العصر الحديث،ا.د/فضل حسن عبَّاس،دار النفائس للنشر والتوزيع،الأردن، ط1،1437هـ، 2016 م

ـــــ الأساس في التفسير سعيد حوّى (ت/1409هـ)،دار السلام،القاهرة،ط6، 1424هـ

ـ التيسير في أحاديث التفسير محمد المكي الناصري(ت/1414هـ)،دار الغرب الإسلامي،بيروت،لبنان،ط1،1405 هـ ،1985م

ـــــ اللباب في علوم الكتاب أبو حفص سراج الدين عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي النعماني (ت/775هـ)،ت/الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض،دار الكتب العلمية،بيروت،لبنان،ط1، 1419 هـ، 1998م.

ـــــ السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير،شمس الدين، محمد بن أحمد الخطيب الشربيني الشافعي(ت/977هـ)،مطبعة بولاق (الأميرية) ،القاهرة،عام النشر: 1285هـ

ـــــ محاسن التأويل محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي (ت/1332هـ)،ت/: محمد باسل عيون السود،دار الكتب العلمية، بيروت،ط1،1418هـ

ـــــ لسان البيان المهذب لتفسير أبي حيان(بترقيم الشاملة آليا) أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي(ت/745هـ)،جمع وترتيب/ العاجز الفقير، عبد الرحمن القماش

ـــــ لطائف الإشارات = تفسير القشيري عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري (ت/465هـ)،ت/إبراهيم البسيوني،الناشر/الهيئة المصرية العامة للكتاب،مصر.

ـــــ التفسير الموضوعي لسورة الأنعام أحمد بن محمد الشرقاوى سالم،المصدر،الشاملة الذهبية

ـــــ تفسير العثيمين: جزء عم محمد بن صالح بن محمد العثيمين(ت/1421هـ)، إعداد وتخريج: فهد بن ناصر السليمان،دار الثريا للنشر،الرياض،ط2، 1423هـ ،2002م.

ـــــ التفسير البياني للتراكيب القرآنية ذوات الدلالات الاحتمالية، نوار محمد إسماعيل الحيالي،بإشراف: د/ عماد عبد يحيى الحيالي،محرم 1425هـ ، شباط 2004 م.

كتب علوم القرآن الكريم

ـــــ الإتقان في علوم القرآن عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي(ت/911هـ)، ت/محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب،الطبعة: 1394هـ/ 1974 م.

ـــــ نظم الدرر في تناسب الآيات والسور إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي (ت/885هـ)،دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، دار الكتب العلمية، بيروت ، 1415هـ، 1995م، ت/عبد الرزاق غالب المهدي

ـــــ علوم القرآن الكريم نور الدين عتر نور الدين محمد عتر الحلبي،الناشر مطبعة الصباح،دمشق،ط1،1414هـ 1993م.

ـــــ الموسوعة الميسرة في الإعجاز العلمي في القرآن الكريم والسنة الصحيحة المطهرة شحاتة محمد صقر،دار الخلفاء الراشدين،الاسكندرية،دار الفتح الإسلامي،حقوق الطبع محفوظة، الشاملة الذهبية.

ـــــ القرآن الكريم وخطابه المتجدد محمد العلمي،المصدر،الشاملة الذهبية

ـــــ الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير محمد بن محمد بن سويلم أبو شُهبة (ت/1403هـ)، الناشر، مكتبة السنة،ط4.

ـــــ القول المعتبر في بيان الإعجاز للحروف المقطعة من فواتح السور إياس محمد حرب آل خطاب،الناشر: مطابع برنتك للطباعة والتغليف، السودان، الخرطوم،ط1، 2011

ـــــ بينات الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ومعجزاته، عبد المجيد بن عزيز الزنداني،الناشر، دار الإيمان، القاهرة

ـــــ محاضرات في علوم القرآن أبو عبد الله غانم بن قدوري بن حمد بن صالح،آل موسى فَرَج الناصري التكريتي،دار عمار،عمان،ط1، 1423 هـ، 2003 م

ـــــ لمسات بيانية لسور القرآن الكريم نسخة معدلة،د. فاضل السامرائي،د. حسام النعيمي،د. أحمد الكبيسي، المصدر: حلقات(لمسات بيانية)د/ فاضل السامرائي،د/حسام النعيمي، والكلمة وأخواتها د/أحمد الكبيسي، وبعض كتب د/ فاضل السامرائي،عدد الأجزاء: 13

ـــــ المدخل إلى علوم القرآن الكريم،محمد فاروق النبهان،دار عالم القرآن،حلب،ط1،1426هـ 2005 م

ـــــ الكامل في القراءات والأربعين الزائدة عليها، يوسف بن علي بن جبـــارة بـــن محمد بن عقيل بن سواده أبوالقاسم الهذُلي اليشكري المغربي (ت/465ه)ت/ جمال بن السيد بن رفاعي الشايب، مؤسسة سما للتوزيع والنشر ط1، 1428هـــ،2007م
ـــــ منار الهدى في بيان الوقف والابتدا ومعه المقصد لتلخيص ما في المرشد، أحمد بن عبد الكريم بـــن محمـــد بـــن عبـــد الكـــريم الأشـــموي المصـــري الشـــافعي (ت/نحو1100)،ت/ شريف أبو العلا العدوى،دار الكتـــب العلميـــة، بيْـــروت، ط 1422،1هـــ،2002م
الموسوعة القرآنية إبراهيم بن إسماعيل الأبياري(ت/1414هـــ)،الناشر: مؤسســـة سجل العرب،الطبعة: 1405 هـــ.
ـــــ مقدمات في علم القراءات محمد أحمد مفلح القضاة،أحمد خالد شكرى،محمد خالد منصور، دار عمار،عمان،الأردن ط1،1422هـــ،2001م.
ـــــ الظاهرة القرآنية مالك بن الحاج عمر بن الخضر بن نبي(ت/1393هـــــ) ت/ إشراف ندوة مالك بن نبي،دار الفكر، دمشق سورية،ط4،1420 هـــ،2000م
ـــــ ركائز الإيمان ط- أخرى محمد بن قطب بن إبراهيم، ت/ وتخريج: علي بـــن نايف الشحود،ط1،1430 هـــ، 2009م
ـــــ مفهوم السنن الربانية دراسة في ضوء القـــرآن الكـــريم،د. رمضـــان خمـــيس زكي،المصدر: الشاملة الذهبية
ـــــ السيرة النبوية والدعوة في العهد المكي أحمد أحمد غلوش، الناشـــر: مؤسســـة الرسالة،ط1 1424هـــ-2003م
ـــــ السيرة النبوية الصحيحة محاولة لتطبيق قواعد المحدثين في نقد روايات السيرة النبوية، د. أكرم ضياء العمري،: مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة،ط6، 1415 هـــ - 1994 م
ـــــ السيرة والتاريخ والأنساب رابط الموقع: http://www.ahlalhdeeth.com.
ـــــ محمد صلى الله عليه وسلم الرسول والرسالة، ياسر تاج الدين،المصدر: الشاملة الذهبية

ـــــ غزوة تبوك دروس وعبر،أمير بن محمد المدري،المصدر: الشاملة الذهبية

كتب اللغة والأدب والبلاغة

ـــــ لسان العرب محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابـــن منظـــور الأنصاري الرويفعى الإفريقى(ت/711هـــ)،دار صادر، بيروت، ط3، 1414 هـــ

ـــــ الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية أبو نصر إسماعيل بن حمـــاد الجـــوهري الفارابي (ت/393هـــ)،ت/أحمد عبد الغفور عطار،دار العلم للملايين،بيـــروت،ط4 1407هـــ 1987م

ـــــ تاج العروس من جواهر القاموس محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني،أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي(ت/1205هـــ)،ت/مجموعة مـــن المحققـــين،دار الهداية،ت/ علي شيري،دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.

ـــــ معجم الفروق اللغوية = الفروق اللغوية بترتيب وزيادة أبو هلال الحسن بـــن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري (ت/نحـــو395هـــــ)،ت/ الشيخ بيت الله بيات،ومؤسسة النشر الإسلامي،مؤسسة النشـــر الإســـلامي التابعـــة لجماعة المدرسين بـــ "قم"،ط1، 1412هـــ

ـــــ مقاييس اللغـــة أحمـــد بـــن فـــارس بـــن زكريـــاء القزوينـــي الرازي،أبـــو الحسين(ت/395هـــ)،ت/ عبد الســـلام محمـــد هـــارون،دار الفكر،عـــام النشـــر: 1399هـــ، 1979م.

ـــ مجمع اللغة العربية بالقاهرة،(إبراهيم مصطفى/ أحمد الزيات/ حامد عبد القـــادر/ محمد النجار)،الناشر،دار الدعوة

ـــــ معجم اللغة العربية المعاصرة د أحمد مختار عبد الحميد عمر(ت/1424هـــ) بمساعدة فريق عمل،الناشر/ عالم الكتب،ط1،1429هـــ - 2008 م

ـــــ معجم متن اللغة أحمد رضا(عضو المجمع العلمي العربي بدمشق)، دار مكتبـــة الحياة،بيروت،عام النشر1377،1380هـــ

ـــــ ديوان المتنبي أبو الطيب المتنبي أحمد بن الحسين الكـــوفي(303هـــــ -354 هـــ)، صححها وقارن نسخها وجمع تعليقاتها،الدكتور/عبد الوهاب عزام،الناشر: لجنة

التأليف والترجمة والنشر،ت/ مصطفى السقا/إبراهيم الأبياري/عبد الحفيظ شلبي،دار المعرفة، بيروت.

ـــــ المعجم الوسيط مجمع اللغة العربية بالقاهرة،إبراهيم مصطفى/ أحمد الزيات/ حامد عبد القادر/ محمد النجار،دار الدعوة

ـــــ الكتاب المعجم الوجيز المؤلف مجمع اللغة العربية،الناشر: مجمع اللغة العربية،1989م.

ـــــ أرشيف ملتقى أهل الحديث تحميله في: المحرم 1432هـ، ديسمبر2010م،هذا الجزء يضم:،منتدى القرآن وعلومه.

ـــــ التعريفات علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني(ت/816هـ)،ت/ ضبطه وصححه جماعة من العلماء ،دار الكتب العلمية بيروت،لبنان،ط1 1403هـ -1983م.

ـــــ المحاسن والأضداد عمرو بن بحر بن محبوب الكناني بالولاء، الليثي،أبو عثمان،الشهير بالجاحظ (ت/255هـ)،دار ومكتبة الهلال، بيروت،عام النشر: 1423هـ

ـــــ الحيوان عمرو بن بحر بن محبوب الكناني بالولاء، الليثي،أبو عثمان،الشهير بالجاحظ (ت/255هـ)،دار الكتب العلمية – بيروت،ط2،1424هـ.

ـــــ شرح ديوان المتنبي أبو البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله العكبري البغدادي محب الدين (ت/616هـ)،ت/ مصطفى السقا/إبراهيم الأبياري/عبد الحفيظ شلبي،دار المعرفة بيروت

ـــــ المصباح المنير في غريب الشرح الكبير أحمد بن محمد بن علي الفيومي ثم الحموي، أبو العباس (ت/نحو770هـ)، المكتبة العلمية، بيروت

ـــــ مقدمة ابن خلدون ولي الدين أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن الحضرمي الأشبيلي المالكي المعروف بابن خلدون،مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت.

كتب الحديث الشريف

ـــــ صحيح البخاري الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر،دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي،ط1،1422هـ، ت/محمد فؤاد عبد الباقي ـــــ دار السلام،الرياض،ط1 1419هـ

ـــــ المستدرك على الصحيحين للحاكم (ط التأصيل) أبوعبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نُعيم بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري المعروف بابن البيع (ت/405 هـ)، دار التأصيل،ط1، 1435، 2014،تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا،دار الكتب العلمية – بيروت،ط1، 1411 - 1990

مسند أحمد (ط الميمنية) أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (ت/241 هـ)،ت/السيد أبو المعاطي النوري، عالم الكتب، بيروت،ط1، 1419هـ ، 1998 م،ت/شعيب الأرنؤوط، عادل مرشد، وآخرون، إشراف د/عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة،ط1، 1421 هـ، 2001م

ـــــ المسند، مسند جابر بن عبد الله،ط2، 1420 ه، 1999 م،ت/الأرناؤوط وآخرون .

ـــــ المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (ت/261ه)، ت/ محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

ـــــ سنن الترمذي محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى (ت/279هـ)، تحقيق وتعليق أحمد محمد شاكر، ومحمد فؤاد عبد الباقي،وإبراهيم عطوة عوض المدرس في الأزهر الشريف، الناشر/ شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي مصر،ط2، 1395 هـ، 1975م،دار الفكر،عبد الوهاب عبد اللطيف.

ـــــ شرح النووي على مسلم "المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج" أبـــو زكريـــا محيي الدين يحيى بن شرف النووي(ت/676هـــــ)،دار إحيـــاء التـــراث العربـــي، بيروت،ط2،1392

ـــــ مصنف ابن أبي شيبة أبو بكر بن أبي شيبة، عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن عثمان بن خواستي العبسي(ت/235هـــ)، ضبطه وعلق عليه/أ سعيد اللحام،الاشراف الفني والمراجعة والتصحيح: مكتب الدراسات والبحوث، دار الفكر

ـــــ فتح الباري لابن حجر أحمد بن علي بـــن حجـــر أبـــو الفضـــل العســـقلاني الشافعي،دار المعرفة بيروت ،رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه:محمد فؤاد عبد الباقي،قام بإخراجه وصححه وأشرف علـــى طبعـــه:محب الـــدين الخطيب،عليـــه تعليقـــات العلامة:عبد العزيز بن عبد الله بن باز

ـــــ الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري محمد بن يوسف بن علـــي بـــن سعيد، شـــمس الـــدين الكرمـــاني (ت/786هـــــ)،دار إحيـــاء التـــراث العربـــي، بيروت،لبنان،ط1: 1356هـــ 1937م،ط2،1401هـــ ،1981م.

ـــــ عمدة القاري شرح صحيح البخاري أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى بـــن أحمد بن حسين الغيتابى الحنفى بدر الدين العينى(ت/855هـــ)،دار إحيـــاء التـــراث العربي، بيروت

ـــــ شرح القسطلاني = إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري أحمد بن محمد بـــن أبى بكر بن عبد الملك القســـطلاني القتيبـــي المصـــري، أبـــو العبـــاس، شـــهاب الدين(ت/923هـــ)، المطبعة الكبرى الأميرية، مصر،ط7، 1323 هـــ

ـــــ التوضيح لشرح الجامع الصحيح ابن الملقن سراج الدين أبو حفص عمر بـــن علي بن أحمد الشافعي المصري (ت/804هـــ)، ت/دار الفلاح للبحث العلمي وتحقيق التراث،دار النوادر، دمشق،سوريا،ط1، 1429 هـــ، 2008 م

ـــــ مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح علي بن سلطان محمد، أبو الحسن نـــور الدين الملا الهروي القاري (ت/1014هـــــ)، دار الفكـــر، بيـــروت، لبنـــان،ط1، 1422هـــ، 2002م

كتب التاريخ

ـــــ الكامل في التاريخ أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري،عز الدين ابن الأثير(ت/630هـ)،دار الكتب العلمية ،بيروت 1415 هـ، ت/عبد الله القاضي.

ـــــ تاريخ ابن خلدون، ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبرعبد الرحمن بن محمد بن محمد، ابن خلدون أبو زيد، ولي الدين الحضرمي الإشبيلي (ت/808هـ)، ت/ خليل شحادة،دار الفكر،بيروت،ط2، 1408 هـ ،1988م

ـــــ شذرات الذهب في أخبار من ذهب عبد الحي بن أحمد بن محمد ابن العماد العَكري الحنبلي،أبو الفلاح (ت/1089هـ)، ت/ محمود الأرناؤوط،خرج أحاديثه: عبد القادر الأرناؤوط، دار ابن كثير، دمشق، بيروت،ط1، 1406 هـ،1986م

ـــــ تعظيم الآثار رؤية شرعية محمد بن عبد الله الهبدان،المصدر: الشاملة الذهبية.

ـــــ علم الآثار بين النظرية والتطبيق، عاصم محمد رزق،مكتبة مدبولي ـــ الاسكندرية

ـــــ علم الآثار د/جمال عبد الهادي، وفاء رفعت،دار الشروق، جدة

ـــــ الآثار الاسلامية حسني محمود نويصر، مكتبة زهراء الشرق ـــــ مصر

ـــــ الموجز فى علم الآثار،د/على حسن، الهيئة المصية العامة للكتاب 1993 م.

ـــــ دور الفكر الإسلامي في الحفاظ علي آثار الحضارات القديمة،ا.د/إمام الشافعي محمد حمودي،رئيس قسم التاريخ والحضارة بجامعة الأزهر،دار التعليم الجامعي،مصر،الاسكندرية

ـــــ قصة الحضارة ويليام جيمس ديورَانت(ت/1981م)، تقديم د/ محيي الدّين صَابر،ترجمة: الدكتور زكي نجيب محمُود وآخرين،دار الجيل، بيروت، لبنان، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس، 1408 هـ، 1988م

ـــــ المعرفة والتاريخ يعقوب بن سفيان بن جوان الفارسي الفسوي، أبو يوسف(ت/277هـ)،ت/ أكرم ضياء العمري، مؤسسة الرسالة، بيروت،ط2،1401 هـ،1981م

ـــــ دراسات في تاريخ العرب القديم محمد بيومى مهران، دار المعرفة الجامعية، ط2، مزيدة

ـــــ الحضارد/حسين مؤنس، الكتاب من سلسلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، بالكويت

ـــــ تاريخ الفكر الديني الجاهلي محمد إبراهيم الفيومي(ت/1427هـ)،دار الفكر العربي،ط4، 1415هـ،1994

ـــــ الحماية الجنائية للآثار دراسة مقارنة، أمين أحمد الحذيفي،دار النهضة العربية ـــــ القاهرة، د.ط،2007م

ـــــ الإفادة والاعتبار في الأمور المشاهدة والحوادث المعاينة بأرض مصر عبد اللطيف بن يوسف بن محمد بن علي البغدادي، موفق الدين، ويعرف بابن اللباد، وبابن نقطة (ت/629هـ) مطبعة وادي النيل،ط1،1286هـ.

ـــــ منهج الحضارة الإنسانية في القرآن،د/محمد سعيد رمضان البوطي، دار الفكر دمشق،ط1، 987م

الرسائل العلمية:

ـــــ أحكام الآثار في الفقة الاسلامي، د/عبدالله بن أحمد بن عامر الرميح ـــــ رسالة دكتوراة ـــــ جامعة القصيم، العام الجامعي 1431هـ ـــــ 1432هـ، إشراف/ا.د/صالح بن عبد الله اللاحم

ـــــ أحكام الآثارفي الشريعة الاسلامية دراسة عقدية، دخالد بن عبدالعزيز السيف، كلية الشريعة والدراسات الاسلامية ـــــ قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة ـــــ جامعة الفصيم.

ـــــ التعامل مع الآثار في الحضارات القديمة والحضارة الإسلامية :دراسة أنموذجية، جامعة محمد بوضياف بالمسيلة، المجلة التاريخية الجزائرية، المجلد5،عدد 2لسنة 2021م nadir.kouadria@univ-msila.dz

ـــــ حماية الآثار في الفقه الإسلامي،إعدد/أحمد خالد أحمد نوفل،رسالة ماجستير ـــــ كلية الشريعة والقانون ،الجامعة الاسلامية ـــــ غزة 2071م

ـــــ الحماية القانونية للآثار على ضوء التشريعات الوطنية والاتفاقيات الدولية أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه إعداد الطالبة /حماد فاطيمة، إشراف/الأستاذ الدكتور هديلي أحمد،وزارة التعليم العالي والبحث العلمي،جامعة جيلالي ليابس سيدي بلعباس، كلية الحقوق والعلوم السياسية،1439،1440هـــــ، 2018،2019م

ـــــ خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية عبد العظيم إبراهيم محمد المطعني(ت/ 1429هـ)،رسالة دكتوراه بتقدير ممتاز مع مرتبة الشرف،مكتبة وهبة،ط1،1413هـ 1992 م

ـــــ قيم حضارية في القرآن الكريم عالم ما قبل القرآن،تأليف/توفيق محمد سبيع، دار المنار للنشر والتوزيع ـــــ مصر

ـــــ الحفاظ علي الآثار التاريخية في ضوء الدعوة الاسلامية د/ محمود رشاد محمد، المجلة العلمية لكلية اصول الدين والدعوة بالزقازيق،العدد 27،الجزء رقم 2، 2015م

ـــــ منهج القرآن الكريم في دعوة المشركين إلى الإسلام د/ حمود بن أحمد بن فرج الرحيلي،الناشر: عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة،المملكة العربية السعودية،ط2، 1424هـ/2004م

الفقه وأصول الفقه والقواعد الفقهية

ـــــ فتح القدير للكمال ابن الهمام كمال الدين محمد بن عبد الواحد السيواسي المعروف بابن الهمام (ت/861هـ) دار الفكر، بدون طبعة وبدون تاريخ.

ـــــ البحر الرائق شرح كنز الدقائق ومنحة الخالق وتكملة الطوري زين الدين بن إبراهيم بن محمد، المعروف بابن نجيم المصري (ت/970هـ)،وفي آخره: تكملة البحر الرائق لمحمد بن حسين بن علي الطوري الحنفي القادري (ت بعد 1138هـ)،وبالحاشية: منحة الخالق لابن عابدين،دار الكتاب الإسلامي،ط2، بدون تاريخ

ـــــ المغني لابن قدامة،المغني شرح مختصر الخرقي أبو محمد موفق الدين عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة الجماعيلي المقدسي ثم الدمشقي الحنبلي، الشهير بابن قدامة المقدسي (ت/620هـ) دار إحيار التراث العربي ، 1405 هـ / 1985م.

ـــــ المفصل في أحكام الهجرة لعلي الشحود، علي بن نايف الشحود،المصدر: الشاملة الذهبية

ـــــ المفصل في شرح آية لا إكراه في الدين علي بن نايف الشحود، الشاملة الذهبية

ـــــ الأعلاق النفيسة أبو علي أحمد بن عمر ابن رسته(ت300هـ)، 1892، الشاملة الذهبية

ـــــ دار الإفتاء المصرية، حكم بيع الآثار،رقم الفتوي 8235(موقع إلكتروني)،اسلام ويب، حكم استخراج الآثار القديمة،رقم الفتوي67725،(موقع إلكتروني)،دار الإفتاء الأردنية، حكم التنقيب عن الآثار،رقم الفتوي،1877،(موقع إلكتروني).

ـــــ الفقه الميسرأ. د/ عَبد الله بن محمد الطيّار، أ. د/عبد الله بن محمّد المطلق، د/ محمَّد بن إبراهيم الموسَى،الناشر:مَدَارُ الوَطن للنَّشر، الرياض،السعودية،الطبعة الأولى:،جـ 7 و 11 ،13: 2011/1432،باقي الأجزاء: الثانية، 1433 هـ، 2012 م

ـــــ المخصص أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي(ت/458هـ)،ت/خليل إبراهم جفال،دار إحياء التراث العربي – بيروت،ط1،1417هـ 1996م

ـــــ تنزيه الأبصار والأفكار في رحلة سلطان زنجار زاهر بن سعيد،ت/ أحمد الشتيوي،الناشر: وزارة التراث والثقافة سلطنة عمان،تاريخ النشر: 1428 هـ.

ـــــ نشر المحاسن اليمانية عبد الرحمن بن علي بـــن محمـــد الشـــيباني الزبيـــدي الشافعي،وجيه الدين، المعروف بابن الديبع (ت/944هـــ)،دار الفكر،دمشق.

كتب العقيدة

ـــــ شرح الطحاوية صدر الدين محمد بن علاء الدين عليّ بن محمد ابن أبي العـــز الحنفي، الأذرعي الصالحي الدمشقي (ت/792هـــ)،ت/ جماعة من العلماء، تخريج: ناصر الدين الألباني،دار السلام للطباعة والنشر التوزيع والترجمة عـــن مطبوعـــة المكتب الإسلامي،الطبعة المصرية الأولى،1426هـــ،2005م.

ـــــ منتدى عقيدة أهل السنة والجماعة،منتدى الدراســـات الفقهية،منتـــدى أصـــول الفقه،منتدى اللغة العربية وعلومها،منتدى

المجلات

ـــــ مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة (بترقيم الشاملة آليا)، المؤلف: الجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية،الناشر: موقع الجامعة على الإنترنت،عدد الأجـــزاء: 120 عددًا،أعده للشاملة: أسامة بن الزهراء

ـــــ مجلة رَواء، التقدم الحضاري وتراجعه في ضوء القرآن الكـــريم، عبـــدالرازق ميـــــزة نازي،العـــــدد الثالـــــث عشـــــر،رجب 1443هـــــــ،فبراير 2022م،rawaa@islamicsham.org